المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

دراسات إسلامية في التربية وعلم الإجتماع

(٣٤٦)

تمهيد

اهتم الإسلام بكل جوانب الحياة،قال تعالى:{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} .

وقد أولى التربية العناية البالغة،ذلك لأن المجتمع صغيرا كان أم كبيراً يؤثر تأثيراً بالغاً على سلوك الأطفال ،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ،قَالَ:كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ،فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ،كَمَا تَنْتِجُونَ إِبِلَكُمْ هَذِهِ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ:فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:{..فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

فأمر طبيعيٌّ أن يصوغ الإسلام الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم بمنهجه التربوي الفريد،الذي أنزله الله تعالى من عنده،ومن ثم لو قارنا بين المنهج الإسلامي في التربية وبين المناهج الأرضية الأخرى لوجدنا الفارق شاسعاً،ذلك لأن الأول من عند الله العليم الخبير بخلقه،وتلك من صنع الناس الذين لا يستطيعون أن يدركوا أسرار النفس الإنسانية . قال تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}

ومن ثم فإنه يعتري تلك المناهج النقص والتغيير والتبديل والتركيز على بعض الجوانب وإهمال جوانب أخرى،ومن ثم لا يمكن لها - مهما نمقها أصحابها وزركشوها- أن تصلح النفس الإنسانية،وتوجد الإنسان الصالح .

بينما المنهج الإسلامي يتصف بالكمال والشمول،ومراعاة جميع جوانب الحياة المادية والمعنوية، ومن ثم فهو يرافق هذا الإنسان في رحلته الحياتية كلها منذ أن كان جنينا في بطن أمه إلى أن يموت،وما بعد الموت كذلك .

تعريف التربية الإسلامية ومفهومها :

هناك فرق بين المفهوم والتعريف ؛

فالمفهوم : " مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كلّي " .

أما التعريف : فيُقصد به: " تحديد الشيء بذكر خواصه المُميزة " .

ومعنى هذا أن المفهوم يكون شاملاً ، وواسعاً ، ومعتمداً على ما يتم استيعابه عن طريق العقل .

أما التعريف فهو توصيفٌ لشيءٍ مُحدد ودقيق ومتفق عليه إلى حدٍ ما .

وعلى الرغم من كثرة الكتابات حول مفهوم التربية وتعريفها عند المهتمين في الميدان التربوي ؛ إلا أن هناك تداخلاً فيما بين المصطلحين عند كثيرٍ من الكُتاب والباحثين ، فهناك من يتحدث عن المفهوم ثم لا يلبث أن ينتقل مباشرةً إلى التعريف في تداخل لا يمكن معه الفصل بينهما ، والعكس صحيح .

وفيما يلي محاولةٌ لبيان وتوضيح المقصود من مصطلح مفهوم " التربية الإسلامية " كعمليةٍ شاملةٍ ونظامٍ متكاملٍ ، ثم تحديدٍ دقيقٍ لتعريفها كمصطلحٍ علميٍ مستقل .

أولاً : مفهوم التربية الإسلامية :

" إذا نظرنا إلى الدراسات التربوية المعاصرة وجدنا مفهوم التربية الإسلامية لم يكن موضع الاتفاق بين الدارسين بعد . ويمكن إجمال أغلب المفاهيم في النقاط التالية :

١) أنه منهج مقررات المواد الإسلامية في المدارس .

٢) أنه تاريخ التعليم ، أو تاريخ المؤسسات التعليمية ، أو تاريخ أعلام الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي .

٣) أنه تعليم العلوم الإسلامية .

٤) أنه نظام تربوي مستقل ؛ ومنبثق من التوجيهات والتعاليم الإسلامية الأصيلة ، ويختلف عن النظم التربوية الأخرى شرقيةً كانت أو غربية ".

ومن المؤكد أن معظم هذه المفاهيم قد حصرت " التربية الإسلامية " في نطاقٍ ضيقٍ لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه هذا المفهوم من شموليةٍ واتساع لكل ما يهم الإنسان في حياته وبعد مماته ؛ فهو مفهومٌ ينظر إلى الإنسان نظرةً شموليةً لكل جوانب شخصيته وأبعادها المختلفة . وهو مفهومٌ يُعنى بجميع مراحل النمو عند الإنسان ، وهو مفهومٌ يوازن بين مطالب الفرد وحاجات المجتمع ، ويهتم بجميع الأفراد والفئات ، ويوائم بين الماضي والحاضر . إضافةً إلى أنه يُشير إلى نظامٍ تربوي مُستقلٍ ومتكاملٍ ، يمتاز بأصوله الثابتة ، ومناهجه الأصيلة ، وأهدافه الواضحة ، وغاياته السامية ، ومؤسساته المختلفة ، وأساليبه المتنوعة...إلخ . التي تُميزه عن غيره ، وتوسع دائرته ليُصبح منهجاً كاملاً وشاملاً لجميع مجالات الحياة .

والخلاصة أن مفهوم التربية الإسلامية يتضح في كونها أحد فروع علم التربية الذي يتميز في مصادره الشرعية (المتمثلة في القرآن الكريم ، والسُّنة النبوية المطهرة ، وتُراث السلف الصالح) ؛ و غاياته (الدينية الدنيوية) ، ويقوم على نظامٍ تربوي مُستقل و مُتكامل ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على فقه الواقع ، ولابد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة وعلوم التربية ؛ حتى تتم معالجة القضايا التربوية المختلفة من خلاله معالجةً إسلاميةً صحيحةً ومناسبةً لظروف الزمان والمكان .

ثانياً : تعريف التربية الإسلامية :

انطلاقاً من الاختلاف - الذي سبقت الإشارة إليه - بين المهتمين في المجال التربوي حول مفهوم التربية فإن هناك اختلافاً مشابهاً في تحديد تعريف " التربية الإسلامية " كمصطلحٍ علمي حيث إن معظم من كتب في هذا الميدان من سلفنا الصالح لم يحرصوا على إيراد تعريفٍ محددٍ لهذا المصطلح بقدر اهتمامهم وحرصهم على معالجة الموضوعات والقضايا التربوية المختلفة .

ولذلك فإن تعريفات الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بالكتابة والبحث في ميدان التربية الإسلامية جاءت مختلفةً رغم اتفاقهم في الإطار العام لها ؛ إلا أنهم لم يصلوا إلى صيغةٍ واحدةٍ يتفقون عليها جميعاً لتعريفٍ محددٍ وواضحٍ لهذا المصطلح ، ولعل ذلك راجعٌ إلى اختلاف مشاربهم ، وتباين تخصصاتهم ، وتعدد وجهات نظرهم التفصيلية .

بعض التعريفات التي اجتهد فيها أصحابها :

١ - " إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام ".

٢ - " النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل ".

٣ - " ذلك النظام التربوي والتعليمي الذي يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسُنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته " .

٤ - " التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كُلياً في حياة الفرد والجماعة " .

وهنا يمكن القول بأن التعريفات السابقة تؤكد جميعاً على أن التربية الإسلامية نظامٌ تربويٌ شاملٌ يهتم بإعداد الإنسان الصالح إعداداً متكاملاً دينياً و دُنيوياً في ضوء مصادر الشريعة الإسلامية الرئيسة .

معنى التربية في اللغة والاصطلاح :

التربية لغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: رَبا يربو بمعنى زادَ ونما ،فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة ، كما في قوله تعالى :{ يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }... { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } { وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ } .

الأصل الثاني: رَبى يربي على وزن خفى يخفي،وتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية ، كما في قوله تعالى : { قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً } .

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه،وتولى أمره،وساسه وقام عليه ورعاه،كما في قوله تعالى : { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّعَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِنكُنتُمْ صَادِقِينَ} .{ وَإِذْ عَلَّمْتُكَالْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} .

التربية اصطلاحاً :

تختلف الآراء في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية والحضارية وباختلاف الأماكن – كما قد تختلف باختلاف نظرة المتخصصين،وقد وردت تعاريف كثيرة للتربية من قبل فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ونفسانيين..

ولكن لا تخرج تعريفاتهم بأي حال من الأحوال عن المعنى اللغوي للكلمة.

ويمكن القول بصفة عامة أن التربية هي :

* عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة .

* أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم ،أوالتأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها – وتكون التربية للفرد والمجتمع.

* وعرف علماء التربية الحديثة (التربية) بأنها تغيير في السلوك.

-كما أن هذا المصطلح لم يُستعمل في تراثنا الإسلامي لاسيما القديم منه ؛ وهي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة مرتبطةً بحركة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن العشرين ؛ ولذلك لا نجد لها استخداماً في المصادر العربية القديمة"

أما الألفاظ والمصطلحات التي كانت تُستخدم في كتابات السلف للدلالة على معنى التربية ؛ فمنها ما يلي :

١- مصطلح التنشئة: ويُقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر؛ولذلك يُقال :نشأ فلان وترعرع.

٢- مصطلح الإصلاح : ويعني التغيير إلى الأفضل ، وهو ضد الإفساد ، ويُقصد به العناية بالشيء والقيام عليه وإصلاح اعوجاجه .

٣- مصطلح التأديب أو الأدب : ويُقصد به التحلي بالمحامد من الصفات والطباع والأخلاق ؛ والابتعاد عن القبائح ، ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء .

و مصطلح الأدب أو التأديب مصطلحٌ شائعٌ ورد في بعض أحاديث النبي صلى الله عليهوسلم التي منها :

* ما روي عن جابر بن سمرة رضي اللهعنه أن رسول الله rقال :" لأن يؤدب الرجل ولده خيرٌ من أن يتصدق بصاع"

* وما روي عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله rقال : "ما نحل والدٌ ولده أفضل من أدبٍ حسن"

* وما روي عن أنس رضي اللهعنه أن رسول الله r قال : " أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم" .

وهنا نلاحظ من معاني هذه الأحاديث أن لفظ الأدب يدل على معنى كلمة تربية الأبناء وتنشئتهم على التحلي بمحاسن الأخلاق ، وجميل الطباع .

٤ - **مصطلح التهذيب** : ويُقصد به تهذيب النفس البشرية وتنقيتها ، وتسويتها بالتربية على فضائل الأعمال ومحاسن الأقوال .

٥ - **مصطلح التطهير** : ويُقصد به تنـزيه النفس عن الأدناس والدنايا ؛ وهي كل قولٍ أو فعلٍ قبيح . وحيث إن للتطهير معنيين أحدهما حسيٌ ماديٌ والأخر معنوي ؛ فإن المقصود به هنا المعنى المعنوي الذي يُقصد به تطهير سلوك الإنسان من كل فعلٍ أو قولٍ مشين .

٦- **مصطلح التزكية** : ويأتي بمعنى التطهير ، ولعل المقصود بذلك تنمية وتطهير النفس البشرية بعامةٍ من كل ما لا يليق بها من الصفات السيئة ، والخصال القبيحة ، ظاهرةً كانت أو

باطنة . قال تعالى : { كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون} . "ويُزكيكم" في هذه الآية : " أي يُطهر أخلاقكم ونفوسكم ، بتربيتها على الأخلاق الجميلة ، وتنـزيهها عن الأخلاق الرذيلة ".

٧- **مصطلح التعليم** : وهو مصطلح شائع ورد ذكره في بعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى : { هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين}

.كما ورد هذا المصطلح في بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه " .

٨ - **مصطلح السياسة** : و يُقصد بها القيادة ، وحُسن تدبير الأمور في مختلف شئون الحياة . وتأتي بمعنى القدرة على التعامل ، أو الترويض .

٩- **مصطلح النصح والإرشاد** : ويعني بذل النصح للآخرين ودلالتهم على الخير وإرشادهم إليه

١٠- **مصطلح الأخلاق** : وهو مصطلح يُقصد به إصلاح الأخلاق وتقويم ما انحرف من السلوك . وعلى الرغم من أن هذا المصطلح يهتم في الواقع بجانبٍ من جوانب التربية ؛ إلا أنه قد يُستخدم للدلالة على التربية بعامةً .

من ذلك كله يمكن القول : إن معنى كلمة التربية يدور ويتركز في العناية التامة ، والرعاية الكاملة لمختلف جوانب شخصية الإنسان في مختلف مراحل حياته ؛ وفي كل شأنٍ من شئونها .

والخلاصة : أن المرادفات التي استخدمها السلف الصالح للدلالة على معنى التربية تدور حول تنمية ، وتنشئة ، ورعاية النفس البشرية وسياستها ، والعمل على إصلاحها ، وتهذيبها ، وتأديبها ، وتزكيتها ، والحرص على تعليمها ، ونصحها وإرشادها ؛حتى يتحقق التكيف المطلوب ، والتفاعل الإيجابي لجميع جوانبها المختلفة ؛ مع ما حولها ، ومن حولها من كائناتٍ ومكونات .

أهداف التربية الاسلامية

يقصد بالأهداف التربوية: «الأغراض أو الغايات، التي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقها والوصول إليها، قريبة كانت أو بعيدة».

وتحديد الأهداف لأي عمل من الأعمال التربوية أمرٌ أساسي قبل الشروع في هذا العمل وتنفيذه؛ لأن هذا التحديد يؤثر تأثيرًا كبيرًا في تكييف وتحديد مجال الدراسة، وطرقها، ووسائلها، وأساليبها التي تحقق هذه الأهداف، كما أن الأهداف غالبًا ما تكون محركًا للسلوك وموجهًا إليه.

والإنسان الذي لا هدف له، لا يعرف لذة العمل، ولا يتذوق طعم الحماس، بل يحيا حياته ضائعًا، لا يعرف أين الجهة التي يولي وجهه شطرها، ولا يدري أين المنتهى، ولا يستطيع الجزم بأفضلية طريقة على طريقة أخرى، أو الأخذ بوسيلة دون أخرى.

إذن، فتحديد أهداف معينة للتربية الإسلامية يعد أمرًا لازمًا وضروريًّا لممارسة العملية التربوية في الإسلام، وضمان نجاحها واستمرارها وتطورها؛ لتؤتي ثمارها بأقل جهد، وأقصر وقت، وأفضل عطاء.

والأهداف التربوية الإسلامية تدور حول أربعة مستويات:

الأول: الأهداف التي تدور على مستوى العبودية لله - سبحانه وتعالى - أو إخلاص العبودية لله.

الثاني: الأهداف التي تدور على مستوى الفرد؛ لإنشاء شخصية إسلامية ذات مثل أعلى يتصل بالله تعالى.

الثالث: الأهداف التي تدور حول بناء المجتمع الإسلامي، أو بناء الأمة المؤمنة.

الرابع: الأهداف التي تدور حول تحقيق المنافع الدينية والدنيوية.

أما مصادر اشتقاق الأهداف التربوية فلا تخرج غالبًا عن مصدرين رئيسين، هما:

" الفرد و **المجتمع**. "

وعلى هذا اتفقت معظم الفلسفات والنظريات التربوية في الماضي والحاضر.

وتتفق التربية الإسلامية مع هذه النظريات والفلسفات في تحديد هذين المصدرين كمصادر لاشتقاق الأهداف التربوية، لكنها تنفرد عن غيرها من الفلسفات والنظريات في أن هناك مصدرًا ثالثًا يحتل مركز الصدارة بين مصادر اشتقاق الأهداف في التربية الإسلامية، وهو **«الوحي الإلهي»**، الذي يعد الضابط الذي تقوم عليه تربية الفرد في الإسلام.

وعلى هذا تكون مصادر اشتقاق الأهداف في التربية الإسلامية ثلاثة، هي:

١ - **الوحي الإلهي**: المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢ - **المجتمع المسلم**: الذي يجب التعرف على احتياجاته، ومتطلباته، وظروفه، وأحواله المتغيرة؛ لتحديد الأهداف التي تناسبه.

٣ - **الفرد المسلم**: الذي يجب التعرف على طبيعته، وميوله، ورغباته، ومواهبه؛ لوضع الأهداف التي تناسب ذلك.

ويمكن تقسيم أهداف التربية الإسلامية في ضوء المصادر التي اشتقت منها، والمستويات التي تعمل على تحقيقها إلى نوعين من الأهداف:

الأول: الهدف العام للتربية الإسلامية:

ويتمثل الهدف العام للتربية الإسلامية في تحقيق معنى العبودية لله تعالى؛ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

فالهدف الأساسي لوجود الإنسان في الكون هو عبادة الله، والخضوع له، وتعمير الكون؛ بوصفه خليفة الله في أرضه.

والعبودية لله تعالى لا تقتصر على مجرد أداء شعائر ومناسك معينة: كالصلاة، والصيام، والحج - مثلاً - وإنما هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فالإنسان الذي يريد أن يتحقق فيه معنى العبودية، هو الذي يُخضع أموره كلها لما يحبه الله تعالى ويرضاه، سواء في ذلك ما ينتمي إلى مجال الاعتقادات، أو الأقوال، أو الأفعال؛ فهو يكيف حياته وسلوكه جميعًا لهداية الله وشرعه؛ فلا يفتقده الله حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه، وإنما يلتزم بأوامر الله فيأتي منها ما استطاع، وينزجر عن نواهيه سبحانه فلا يقربها؛ تصديقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمر فَأْتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه»؛ فالمسلم دائمًا إذا أمره الله تعالى - أو نهاه، أو أحل له، أو حرم عليه - كان موقفه في ذلك كله: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ .

ثانيًا: الأهداف الفرعية للتربية الإسلامية:

إن تحقيق الهدف العام للتربية الإسلامية - متمثلاً في العبودية الحقة لله تعالى - يتطلب تحقيق أهداف فرعية كثيرة، منها:

أولاً: التنشئة العقدية الصحيحة لأبناء المجتمع المسلم؛ لإعداد الإنسان الصالح الذي يعبد الله - عز وجل - على هدى وبصيرة.

ثانيًا: أن يتخلق الفرد في المجتمع المسلم بالأخلاق الحميدة: من صدق، وأمانة، وإخلاص... إلخ؛ مقتديًا في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي شهد له ربه سبحانه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعِثتُ؛ لأتمم مكارم الأخلاق»؛ وبذلك يمكن تهيئة المجتمع المسلم للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا: تنمية الشعور الجماعي لأفراد المجتمع المسلم؛ بحيث يرسخ لدى الفرد الشعور بالانتماء إلى مجتمعه؛ فيهتم بقضاياه وهمومه، ويرتبط بإخوانه؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»؛ وبذلك تتأكد روابط الأُخوَّة الإيمانية الصادقة بين أبناء الأمة المسلمة.

رابعاً: تكوين الفرد المتزن نفسيًّا وعاطفيًّا، وذلك بحسن التوجيه وحسن الحوار مع الأطفال، ومعالجة مشاكلهم النفسية... إلخ؛ مما يساعد على تكوين شخص فاعل وعضو نافع لمجتمعه.

خامسًا: صقل مواهب النشء ورعايتها؛ لتكوين الفرد المبدع، الذي يتمتع بالمواهب والملكات التي باتت ضرورة ملحة لتقدم المجتمعات في الوقت الحاضر، وذلك بتنمية قدرات النشء على التفكير الابتكاري، ووضع الحلول للمشكلات المختلفة، وتنمية قدراتهم على التركيز والتخيل والتعبير، واستثارة الذهن بالأسئلة والمناقشات، وتوجيه الأطفال إلى الأمور التي قد تكون أكبر من سنهم، ورفعِ همتهم، وتنظيم تفكيرهم.

سادساً: تكوين الفرد الصحيح جسميًّا وبدنيًّا، الذي يستطيع القيام بدوره وواجبه في عمارة الأرض واستثمار خيراتها، والقيام بأعباء الاستخلاف في الأرض ومهامه، التي جعله الله خليفته فيها؛ عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»؛ ولهذا شجع الإسلام على أمور تقوي الجسم: كالرمي، والفروسية، والسباحة، وكان الصحابة يتبارَوْن ويتمرنون على رمي النبل، وصارع الرسولُ صلى الله عليه وسلم ركانة بن عبد يزيد فصرعه صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك سببًا في إسلامه.

أهمية التربية الاسلامية

يعيش المسلم في ظل التربية الإسلامية حياة ملؤها السعادة والاطمئنان ، فهو يشعر بالراحة النفسية والاجتماعية، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن كل شيء في هذا الكون يحصل بقدر الله عز وجل .

وأما الإنسان الذي يعيش في المجتمعات غير الإسلامية فهو يشعر بالإحباط والقلق والتوتر والاضطراب النفسي والفراغ الروحي والاكتئاب فتكثر حالات الانتحار والهروب والفساد الخلقي والاجتماعي.

من هنا تتجلى أهمية التربية الإسلامية وقيمتها ويظهر ذلك من خلال :-

١. إنها تنظم حياة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى، فالله عز وجل هو الخالق الرازق المستحق للعبادة، والإنسان مخلوق وظيفته عبادة ربه والتوجه إليه دائما، قال تعالى :" (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم*".

٢. إنها تحقق السعادة للإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، فالمسلم يعرف قيمة الدنيا، فعالمه أوسع من عالم الحياة المادية الأرضية وحدها، فالتربية الإسلامية تقوم على أساس الواقع المادي والروحي للإنسان دون الاقتصار على جانب واحد منها فقط ، والمسلم يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن ما عمله في الدنيا سوف يجده ويحاسب عليه في الآخرة قال تعالى:"{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } .

٣. التربية الإسلامية تنظم حياة المسلم مع مجتمعه الذي يعيش فيه، وتعمل على تقوية الروابط بين المسلمين ودعم قضاياهم والتضامن معهم قال تعالى: " إنما المؤمنون أخوة " وقال رسول الله- " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسّهر و الحمى ".

٤. التربية الإسلامية تهتم بكل مقومات الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية والوجدانية وتسعى إلى تحقيق التوازن التام بين كل هذه المقومات.

فالإسلام يرفض الرهبنة والانقطاع للعبادة، كما أنه يرفض تحول البشر إلى عجول آدمية مفتولة العضلات خاوية العقل والروح ، وأمر الصحابة الذين حاولوا مخالفة الفطرة أن يعودوا إلى صوابهم فقال - صلى الله عليه وسلم - : " ....أما أنا فأصلي وأرقد ، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " .

خصائص التربية الإسلامية

تستمد التربية الإسلامية خصائصها ومميزاتها من خصائص الإسلام ومميزاته ، ذلك لأن العلاقة بين الإسلام والتربية الإسلامية علاقة وثيقة ، فالإسلام دين يقوم على العقيدة الراسخة وعلى العبادة الخالصة لله وهو دين يدعو إلى الأخلاق الكريمة ويجعلها دعامة التعامل بين أفراد المجتمع الواحد .

وتتلخص خصائص التربية الإسلامية فيما يلى:

١- ربانية المصدر والمنهج :

الربانية هى أول خصائص التصور الإسلامى ، ومصدر هذه الخصائص كذلك فهو تصور اعتقادى موحى به من الله سبحانه وتعالى ومحصور فى هذا المصدر لا يستمد من غيره ، ولا

تعنى الربانية إلغاء العقل البشرى بل تدع للعقل البشرى وللعلم البشرى ميداناً واسعاً كاملاً للبحث وتدفعه إليه دفعاً ولا تقف دون العلم البشرى فى المجال الكونى ، بل هو يكل أمر الخلافة كله فى حدود التصور الربانى للعقل البشرى وللعلم البشرى .

٢- الثبـــات :

وبما أنه ربانى صادر من الله ، يترتب عليه أنها تربية ثابتة المبادئ والحقائق غير قابلة للتغيير ، بخلاف أى تربية يضعها البشر ، وحتى لا يفهم من هذا الثبات الجمود وعدم التطور ، فإن المقصود به تلك الأحكام القرآنية والمبادئ السماوية الراسخة التى نص القرآن الكريم على ثباتها حتى تقوم الساعة .

ولا يمكن أن تتصف التربية الدينية الإسلامية بالجمود ، وهى تستمد خصائصها من الإسلام دين المرونة والتطور ، ونستطيع تحديد مجال الثبات ،ومجال المرونة فى شريعة الإسلام ، ورسالته الشاملة الخالدة . فنقول : إنه الثبات على الأهداف والغايات والمرونة فى الوسائل والأساليب ،الثبات على الأصول والكليات ، والمرونة فى الفروع والجزيئات ، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية فى الشئون الدنيوية والعلمية.

٣- الشمول والتوازن :

حيث يتولى الله سبحانه وتعالى إنشاء منهج للحياة الواقعية فإن ذلك يأتى برئ من كل ما يعتري الصنعة البشرية من القصور والنقص والضعف والتفاوت ، وتتمثل خاصية الشمول التى تتسم بها هذه التربية الدينية الإسلامية فى صور شتنو منها :

مخاطبة النفس الإنسانية بكل جوانبها من روح وجسد وعقل ووجدان ، بكل أشواقها وحاجاتها واتجاهاتها فتجمع شعورياً وسلوكياً ، وتصوراً واستجابة شأن العقيدة والمنهج وشأن الاستمرار والتلقى ، وشأن الحياة والموت ، وشأن السعى والحركة ، وشأن الدنيا ، والآخرة فلا تتفرق تمزقاً، ولا تتجه إلى شتى السبل والآفاق ولا تسلك شتى الطرق على غير اتفاق .

تلبية حاجات المسلم الروحية والمادية والاجتماعية ليبقى على عوامل التوازن النفسى والعقلى والجسدى فهو يحارب الانقطاع عن المجتمع والزهد فى الحياة ، ويشيد بالإنسان الذى يتبادل المسئولية مع مجتمعه وهو لا يقتصر على جانب واحد من جوانب الشخصية وإنما يقوم على النظرية التكاملية الشاملة للروح والجسد والعقل.

٤- الإيجابية :

ليست التربية الدينية الإسلامية تربية نظرية وإنما تتعدى ذلك إلى التطبيق العملى وتتحول إلى سلوك يمارسه الإنسان فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس وفيما بينه وبين نفسه ، إن هذه

الخاصية ما تكاد تستقر فى الضمير ، حتى يتحرك ليحقق مدلولها فى صورة عملية والمؤمن بهذا الدين ما يكاد الإيمان يستقر فى ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة ومؤثرة ، فاعله فى ذات نفسه وفى الكون من حوله وحيثما ذكر الإيمان فى القرآن أو ذكر المؤمنون ذكر العمل الذى هو الترجمة الواقعية للإيمان، فليس الأمر مجرد مشاعر إنما هو مشاعر تفرغ فى حركة لإنشاء واقع وفق التصور الإسلامى للحياة بهذا يستشعر الفرد أن وجوده على الأرض يقتضيه حركة وعملاً إيجابياً فى ذات نفسه وفى الآخرين من حوله ، وفى هذه الأرض هو مستخلف فيها وفى هذا الكون وأنه لن يبلغ شكر نعمة الله عليه بالوجود ولا يطمع فى النجاة من حساب الله وعذابه ، إلا بأن يؤدى دوره الإيجابى فى خلافة الأرض.

٥- الواقعية :

يقصد بالواقعية التحقق فى عالم الواقع ، فالتربية الدينية الإسلامية تربية للحياة وتربية للعمل والإنتاج والنماء ، ودينها تطابق تكاليفه فطرة الإنسان ، بحيث تعمل جميع الطاقات الإنسانية عملها الذى خلقت من أجله فينطلق يعمر فى الأرض ويغير وينمى فى موجوداتها ويطور ، لا يقف فى وجهه حاجز من التصور الإعتقادى ، ولا من المنهج العلمى فكلاهما (واقعى) مطابق لواقعية الطبيعة البشرية وللظروف المحيطة بها فى الكون من حولها ومن ثم يتسنى للإنسان أن ينشئ من الآثار الواقعية فى هذه الأرض وأن يحقق من الإبداع المادى وفق ما ينشئه من الصلاح الأخلاقى وكفاءة ما يحققه من الرفعة والتطهر.

إن من أهم خصائص الإسلام واقعيته فيما شرع من أنظمة وقوانين فى مجال التكليف وفى مجال التحليل والتحريم والاستطاعة والضرورة ، وجعل التكليف الملزم فى حدود الطاقة الممكنة.

٦- التدرج والاستمرار :

لم تنزل أحكام الدين وتشريعاته جملة واحدة وإنما تدرجت لفترة لم تزيد عن ثلاث وعشرين سنة فقد كان التدرج فى تحريم الخمر والميسر والربا وفى فرض الصلاة والصيام فالتشريع الإسلامى قد تدرج مع قابلية المكلفين دون أن يرهقهم حتى تكتمل الواجبات وتتم المحرمات وقد تدرج حتى بلغ الغاية .

وهى تربية مستمرة ، ذلك لأن الدين الإسلامى مستمر ولن تكون له نهاية إلا بنهاية حياة البشر . كما أنها تربية مستمرة لأنها لم تجعل حداً لطلب العلم ، سئل حكيم : ما حد التعلم ؟ فأجاب : حد الحياة. ويرى (ابن قتيبة) أنه :" لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ، فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها حيث كانت ما دامت فى الحياة .

مصادر التربية الاسلامية

اولا –القرآن الكريم

ثانيا _ السنة النبوية الشريفة

ثالثا _منهج السلف الصالح

فالقرآن الحكيم أول مصادر التربية الإسلامية :

كان له التأثير و الفعل التربوي في شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بحيث أن خلقه كان القرآن،و كان يمثل قرآنا يمشي على الأرض،فجعل منه المثل الأعلى و النموذج الكامل لأي مسلم لأي قائد.و من خلاله تربى الجيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم فمثل المدرسة الجماعية الأولى مدرسة محمد الرسول عليه الصلاة و السلام بكل استحقاق و امتياز.

و هم جيل قرآني فريد مثل أول ثمرات الشجرة.فيه القادة و الحكام و الولاة و المجاهدون و الفاتحون و القضاة و العلماء و الفقهاء و والدعاة و المربون..و قد بقي القرآن المجيد موجها و مربيا مباشرا و غير مباشر لما بعد الرسول و صحابته يحظى بالتقديس و التقدير،هو المبدأ و المرجع

و المصدر لكل اجتهاد أو اختلاف أو إبداع ، لايختلف فيه اثنان من المسلمين،و هذا هو العاصم الأكبر و الأول للأمة.و هو ماض مع الإنسان على الأرض إلى آخر إنسان،مفتوح على المؤمنين و الكافرين لايختص بزمن واحد أو مكان واحد أو ظرف واحد أو صنف خاص من البشر.

و السنة النبوية ثاني مصادر التربية الإسلامية:

وهي الطريقة و الأسلوب و المنهج كما تعرف،و بمعناها العلمي هي مجموع ما نقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم بالسند الصحيح من أقوال و أعمال ووصف و ترك و إقرار و نهي وما حبب و كره، و غزواته و حياته و أحواله.

والسنة جاءت في الأصل لتحقيق هدفين اثنين هما :

إالأول - **ا يضاح** ما جاء في القرآن،يقول سبحانه و تعالى:(و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم)"النحل:آية ٤٤.

الثاني - **ذكر** أحكام وآداب لم تذكر في القرآن الكريم .

و من أهدافها في المجال التربوي :

١ - **إيضاح** المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم . و**بيان** التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم ،يقول جل جلاله :(و يعلمهم الكتاب و الحكمة)" ويقول عليه الصلاة و السلام :"ألا و إني أوتيت الكتاب ومثله معه".

٢ - **استنباط** أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه و معاملاته المختلفة،يقول الخالق سبحانه:(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر)الأحزاب-آية٢١ ،و يقول تعالى:)وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا.)الحشر-آية٧

و قد مثل الرسول محمدصلى الله عليه وسلم بسنته و سيرته نموذجا لأعظم إنسان شهدته الإنسانية،أقر له الوحي الإلهي أولا وشهدت له الأمة الإسلامية بقاصيها و دانيها،فألف في ذلك مالا يحصر من الأسفار.وشهد له خارج الأمة حتى من الأعداء و المناوئين خلق كثير من أيامه إلى أيامنا هذه من جهابذة القادة و الفلاسفة والمثقفين و المفكرين و التربويين و الأدباء و غيره .

منهج السلف الصالح ثالث مصادر التربية الإسلامية .

وهو منهج سلف الأمة الصالح باعتباره يمثل التطبيق العملي للقرآن والسنة.

والسلف : مصطلح يطلق على ما كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وبقية الصحب الكرام، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، والأئمة الخيار المهديين، الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح الذي رواه البخاري و مسلم من حديث ابن مسعود ، قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).

ومن ثم فكل من جاء ليسير على هذا المنهج الرباني: على القرآن الكريم، وعلى السنة الصحيحة بفهم سلف الأمة الصالح، فهو ينسب إلى السلف، ، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، ومن عاش بين أظهرهم، وخالف عقيدتهم، وتنحى عن طريقهم، فليس منهم، حتى وإن عاش معهم، وقرب وجمع بينه وبينهم الزمان والمكان،

هذا هو التعريف الصحيح للسلفية، ولمنهج السلف، ورضي الله عن ابن مسعود إذ يقول: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

أسس التربية الإسلامية

أولا- الأسس العقدية:

تعنى بأهمية الإيمان و ضرورته.و هو في الإسلام يقوم على ستة أركان:

١- **الإيمان بالله**:يتضمن مايلزم معرفة الخالق سبحانه و وتوحيده وألوهيته وربوبيته وحاكميته واستحكام عقيدة الولاء والبراء،والتزام أسمائه وصفاته عقديا وسلوكيا.

٢- **الإيمان بالملائكة**:و في هذا الإيمان ما يحيل على عظمة الخالق وأهمية الإنسان.وتطلب هذا تأملا في عالم الغيب له ما له من الآثار النفسية والتربوية.

٣ - **لإيمان بكتب الله المنزلة**:بالنسبة للكتب السابقة يطلب الإيمان بها مجملة،وبالنسبة للقرآن، من التكليف الإيمان به تفصيلا لمميزاته.ويستتبع ذلك إجراءات عملية كالتدبر والتلاوة والعمل به.

٤ - **الإيمان بالرسل**:جميعهم.و قد ذكر القرآن بعضهم.وفي رسالاتهم دروس وعبر.ثم رسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم التي تعد أكمل الرسالات وأشملها إلى العالمين جميعا إلى يوم البعث،ناسخة لما قبلها .

٥- **الإيمان باليوم الآخر**:على اعتبار أن الدنيا مرحلة مؤقتة .لكن تكتسب أهميتها من كونها مزرعة و جسرا إلى الآخرة.و الكون كله مخلوق إلى أجل مكتوب.و البرزخ و البعث والنشور والحساب والصراط كلها حق.

٦- **الإيمان بالقدر خيره وشره**:ولهذا آثار تربوية منها:العزم والتوكل،وعدم التحسر على ما فات،والخوف مما هو آت،والجرأة أمام الشدائد والموت،والتفاؤل والرضا ودفع التشاؤم..وغير هذا كثير

ثانيا - الأسس التعبدية:

العبادة في الإسلام تتضمن الخاصة والعامة.تتعلق الأولى بما يعرف بالدين المحض الذي يتضمن الشعائر التوقيفية من صلاة وصيام ومناسك وذكر ودعاء وما إليها.وتتعلق الثانية بالشرائع والمعاملات،و كل هذا لايخرج بالنسبة للمسلمين عن نطاق النية والإخلاص والطاعة لله تعالى.

و من آثار العبادات التربوية :

أ - :تعلم الوعي الفكري الدائم، لأن الغنسان لا يقوم بعمل إلا وفق خطة ووعي وتفكير حتى يقبله الله منه ، إذ ان العبادة المقبولة عند الله تتصف بشرطين :

* إخلاص النية والطاعة لله تعالى

* الإتيان بالطاعة وفق امر الله وامر الرسول صلى الله عليه وسلم .

ب - الإرتباط بالمسلمين على أساس الولاء والحقوق والواجبات،

ج - الإعتزاز بالله ودوام استحضاره لانه أكبر من كل كبيرواعظم من كل عظيم بيده كل شيء الموت والحياة والرزق والجاه والسلطان ، فلا يذل ولا يخضع ولا يسال او يستغيث باحد إلا هو سبحانه

د - تحقيق التعارف والتناصح والتشاور والتعاون والتربي على الفضائل الثابتة المطلقة دون حدود الأرض والقوم أو الذات.

و - تجديد النفس والطاقة باستمرار من خلال وسائل شعائرية كالصلاة والصوم والحج وتلاوة القرآن والتوبة وغيرها.

ثالثا - الأسس التشريعية:

الشريعة بمعناها الواسع تتضمن بيان العقيدة وتحديد العبادة وتنظيم الحياة. فهي أساس فكري للإنسان المسلم،و بناء حضاري للمجتمع المسلم،تحدد للفرد وللمجتمع مبادئ وقواعد خلقية واجتماعية وسياسية وما يتصل بها أو يتفرع عنها.

وما يميز الشريعة عن القوانين الوضعية أنها لاتقوم فقط على الرقيب المباشر أو الملموس،أو مراقبة الدولة وأجهزتها،أو الناس حضروا أم غابوا.ولكنها تتبنى أساسا رقابة الإيمان والأمانة والغيب والصدق والإخلاص.

وبذلك تربي الشريعة الناس بثلاثة أساليب :

الاول – اسلوب تربوي نفسي ينبع من داخل النفس ضابطه الخوف من الله تعالى .

الثاني –اسلوب التناصح الإ جتماعي والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

الثالث – وازع السلطة التنفيذية أي الدولة المسلمة التي تنفذ احكام الشريعة فيستتب الأمن ويسود سلطان الشرع وينعم الناس بعدالة شيعة الإسلام .

رابعا _ الأسس المقاصدية:

تدور أحكام الشريعة الإسلامية حول حفظ خمسة أحكام هي محاور المقاصد الرئيسية للدين:

١ - **حفظ الدين**:فلا يجوز لمسلم أو دولة مسلمة أن تسمح بتضييع الدين والإستهانة بالشرع وإتيان ما ينافيهما.

٢ - **حفظ النفس**:-جعل الله للنفس البشرية حرمة عظيمة فحرم قتلها بغير حق.

وجعل للقتل أحكاما مشددة.

٣ -**حفظ العرض**:ومعه النسل والنسب:فأقر الشرع الزواج والبنوة وجعل لهما أحكاما وكذا للعلاقات الإجتماعية.

٤ - **حفظ العقل**:جعله الله مناط التكليف ومفتاح المعرفة ونوه بطرق استعماله،ونهى عن كل ما يضر به أو يعطله.

٥ - **-حفظ المال**:جعله الخالق أمانة عند العباد،واهتم الفقه الإسلامي بأحكامه المتغيرة من الفرض إلى الحرام.

خامسا _ الأسس الفكرية :

وتمثل نظرة الاسلام إلى الانسان والكون والحياة .

أولا _ نظرة الإسلام إلى الإنسان:تتلخص في الإعتبارات التالية:

١ - حقيقة الإنسان وأصل خلقه:فهو مكون من طين ومن نفخة الروح الإلهية ثم من نطفة .

قال تعالى : (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون) .

٢ - الإنسان مخلوق مكرم:بالتسخير وأسباب التمكين والأمن من الكائنات.كل ذلك من فضل الله عليه.

قال تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

٣ - الإنسان مميز مختار:أمام هداية أولى هي التمييز بين الخير والشر.وهدى يستطيع أن يصل إليه بالإجتهاد.

قال تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها

٤ - قدرة الإنسان على التعلم والتعلم:مع أدوات لتحصيل ذلك منها السمع والبصر والفؤاد.

ومنها اللسان والقدرة على البيان ،والتعلم والقدرة على الكتابة .

قال تعالى :(ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) .

وقال سبحانه :(الرحمن خلق الإنسان علمه البيان) .

٥ - مسؤولية الإنسان وجزائه:تحقيق العبادة وتطبيق الشريعة في انتظار الحساب وجزاء يوم القيامة.

قال تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان غنه كان ظلوما جهولا) .

٦ - المهمة العليا للإنسان:عبادة الله،وهي جماع كل المسؤوليات،صلبها التوحيد،والإنسان مسؤول عن عمره وعلمه وماله وجسمه.

قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

وقال سبحانه : (وان المساجد لله فلا تدعو ا مع الله احدا) .

ولهذه النظرة إلى الإنسان آثار تربوية ، منها :

أ – لفت النظر إلى حقارة الماء الذي خلق منه الإنسان حتى يهذب كبرياءه فيجعله متواضعا واقعيا في حياته .

ب – تنشئة الإ نسان على الشعور بالكرامة وعزة النفس فلا يذل ولا يخضع لما حوله من الكائنات بل يسيطر عليها ويسخرها لمصلحته .

ج- .إثارة عاطفة الإعتراف بالجميل والشكر للخالق والخضوع له سبحانه .

د – تزكية النفس والترفع عن سبل الشر والسمو نحو الفضيلة والاتصال بالله تعالى .

ه – تربية الانسان تربية علمية مبنية على الملاحظة والمناقشة والاستنتاج والتفكير ، فيحظى بأكبر قسط من المعرفة التي تحقق له الظفر والزعامة .

و – تربية الانسان على الوعي واليقظة الدائمة وعدم الاستسلام للأهواء والاستقامة على امر الله تعالى .

ثانيا - -نظرة الإسلام إلى الكون:تجمل في الإعتبارات التالية:

١ - الكون مخلوق لله:خلقه بالحق لهدف وغاية ولأجل مسمى.وهو موضوع تأمل الإنسان وعواطفه وتعبده واختباره.

٢ - خضوع الكون لسنن الله:هي مقدرة بقدر معلوم.وهي مجال تعلم الإنسان ومعرفته وفعله وتتضمن أسس تفكيره.

٣ - الكون ميسر بقدر الله:فالله مهيمن عليه بكليته وبدقائقه.والإنسان جزء من هذا الخضوع .

٤ - حياة الإنسان خاضعة لسنن اجتماعية:ضمن حقيقة الإنسان وحقيقة الكون.

٥ - **الكون** كله قانت لله بشكل تصييري.خاضع له ولتدبيره ولأمره ومشيئته .

٦ - **كثير** مما في الكون مسخر للإنسان من أكبر مكوناته إلى أصغرها بإذن من الله للإختبار والجزاء.

وهذه النظرة الإسلامية إلى الكون لها آثار تربوية منها :

١ - ارتباط المسلم بخالق الكون وبالهدف الأسمى من الحياة وهو عبادة الله تعالى

٢ - تربية الإنسان على الجدية ،فالكون كله أقيم على أساس الحق ووجد لهدف معين وإلى أجل مسمى عند الله تعالى .

قال تعالى : ٠(وما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما لاعبين .).

وهذا يعلم الإنسان أن يبحث عن غاية كل ظاهرة من ظواهر الكون ، وأن يبعد تفكيره عن اللهو والعبث والضياع .

٣ - تكرار حوادث الكون حسب سنن سنها الله وهو سبحانه يملك وحده أن يغيرها متى ما شاء

٤ - .**أن سنن الكون وجميع حوادثه** وظواهره وكائناته من أصغر ذرة إلى أكبر جرم قد خلقها الله وسيرها أو أنزلها بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتعدى حدوده فيختل توازنه أو يخل بنظام غيره مما جاوره أو قابله .

٥ - أن كل الكائنات والجمادات تخضع لبارئها وتشهد بعظمته وتنزهه عن كل نقص فلأجدر بالإنسان العاقل أن يعترف لربه بالنعمة والفضل ويستشعر عظمته ويسبح بحمده ويقدس له .

ثالثا – نظرة الإسلام إلى الحياة

وتشمل محورين :

الأول - طبيعة الحيا ة: الدنيا :

وكيف جعلها الله دار اختبار وامتحان للإنسان بما ميزه من العقل والعلم والإرادة والقدرة،وبما ابتلاه من الغرائز.ولكن يجوز للمسلم أن يستمتع بما أحله الله له من طيبات وأن يسعى في الخير لنفسه ولغير ه.وفي توقي الشر ودفعه.

قال تعالى :

(.:بابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ،)

وقال تعالى :(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين).

الثاني -أهم صفات الحياة الدنيا:

١ - فهي دار متاع مؤقتة فانية،بينما الآخرة هي دار البقاء والجزاء الباقية.وكل ما هناك ينبني على ما هاهنا.

قال تعالى : (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قلبل) .

٢ - وهي مليئة بالملذات والزخرف والزينة .

قال تعالى : (:زبن للناس حب الشهوات من النساءوالبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) .

٣ – يحق للمسلم أن يستمتع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع ودون ان تلهيه عن طاعة الله

قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) .

٤ – الدنيا عالم له قوانينه الإجتماعية والبشرية التي سنها الله ،فمن سعى في الدنيا استوفى نيجة سعيه فيها ومن سخر الدنيا لإرضاء الله ربح في الدنيا ةالآخرة .

قال تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون) .

٥ – الدنيا دار لعب ولهو وتفاخر .

قال تعالى : (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد ...) **ولهذه الصفات للحياة الدنيا آثار تربوية فهي تدعو المسلم إلى أمور وتربيه على عادات منها :**

١- الا يغتر بالحياة الدنيا ويغفل عن الهدف الذي وجد من اجله ، بل يحاسب نفسه على كل ما يعمل فيها .

٢-ألا يحرم نفسه مع ذلك من خيراتها بل يستمتع بها محققا بذلك عبودية الله تعالى .

٣- أن يصبرعلى بلوائها ويأسائها لأنها دار كدح وابتلاء فلا ييأس بل يعمل ويجد .

أساليب التربية الإسلامية

أ ولاً : أسلوب القدوة :

القدوة في اللغة : "القدو" : أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الإقتداء ، يقال قدوة لما يقتدى به ... والقدوة : الأسوة ، يقال فلان يقتدى به .

ومن أجمل ما قيل في تعريف القدوة أنها " نموذج مثالي واقعي يجمع بين الإيمان والاعتقاد والوعي والرشد والنضج ، ويقوم على الحب والطاعة والوضوح ، يقتدي به الفرد والجماعة قولا وعملا "

وتعد القدوة من أنجح الأساليب وأشدها تأثيراً على الأولاد ، نظرا لأن الطبيعة البشرية مفطورة على التقليد والمحاكاة ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها ، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها .

من هنا تأتي القدوة في مقدمة الأساليب التربوية التي يكتسب الفرد من خلالها القيم والاتجاهات وذلك للأسباب التالية :

١ـ القدوة أهم عنصر في تشكيل شخصية الإنسان وخاصة في مرحلة الطفولة .

٢ـ القدوة تجسيد لمعاني القيم وأمثلة تطبيقية لها ، حيث أن القيم مفاهيم مجردة يصعب على المتعلم فهمها وتحديد مظاهرها السلوكية نظرياً ، فلا بُد من إظهارها في نماذج القدوة والسلوك العملي لكي تتضح معانيها وتظهر حية واقعية .

والقرآن يخبرنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اتصف بأعلى الكمالات وأنبل الصفات التي عرفتها البشرية هو قدوة حسنة للبشر قاطبة خلقه القرآن ومؤدبه ومربيه رب العالمين :

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}

ولأن التربية تحتاج إلى القدوة العليا التي يقاس عليها فإن الله سبحانه جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم النموذج الذي يهتدي به الناس والسراج الذي يضيئون به حياتهم إن أطاعه الناس اهتدوا وإن خالفوه ضلوا : {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} .

إن الطفل يكون أكثر الناس حاجة إلى القدوة الحسنة في حياته الأولى الأمر الذي يضع على كاهل المحيطين به عبء كبير فالطفل يعتقد أن ما يفعله والده ومدرسه هو الحسن والخير وأن ما يتركه الوالد والمدرس هو القبيح والشر، والطفل مطبوع في هذه المرحلة على المحاكاة والتقليد وتنطبع في نفوسهم كل الصفات التي كانت سلوكاً لأسوتهم.

وليس معنى هذا اقتصار القدوة في السلوك على الآباء والمربيين إنما تتمثل القدوة في المجتمع كله بمؤسساته: البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فإذا وجد في قطاعات المجتمع القدوة الصالحة كانت التربية ناجحة لأن الطفل لا يحس بالتناقض في الأخلاقيات أو التباعد في السلوك بين أنشطة المجتمع الموجهة.

إن القدوة الحسنة من الآباء والمربين ومؤسسات المجتمع من أهم العوامل المؤثرة في التربية والهادية إلى الخير والمهيئة للفرد النافع للمجتمع والحياة.

مواقفُ من السيرة النبوية تبيّنُ أهميةَ القُدوة وأثرَها:

ولقد تجلَّى تأثيرُ القُدوة في صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجَدوَاها الكبيرة - التي لا تتوافر لمجرد الدعوة النظرية - في كثير من المواقف التي كان لها ظروفُها الخاصَّة؛ حيث لا يُجدِي فيها مجردُ الأمر والكلام النظري، بل لا بد فيها من التطبيق العملي؛ ليتعمق أثرُها في النفوس، ومن ذلك ما يلي:

١- الزواجُ من امرأةِ الابنِ بالتَّبَنِّي:

كانت عادةُ التَّبَنِّي مُتَأَصِّلَةً بين العرب قبل الإسلام، وكانوا يعاملون الابن بالتبني معاملةَ الابن من الصُّلبِ؛ فيحرِّمون الزواجَ من امرأتِهِ، ويُعظِّمون هذا الأمر جدّاً، فلما جاء الإسلام وَحَرَّم التَّبَنِّي، وأراد اقتلاعَ آثار الجاهلية من نفوس المسلمين؛ لم يكتفِ - في ذلك - بالدعوة النظرية لتحريم التبني وهدم آثاره؛ بل دَعَمَ تلك الدعوةَ النظرية بالتطبيق العملي؛ فأُمِر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتزوج من زينبَ بنتِ جحش - رضوان الله عليها - التي كانت زوجةً لزيدِ بن حارثة، الذي تَبَنَّاه الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - وكان يُدْعَى زيدَ بنَ محمد؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَي لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾

وهكذا أجرى الله - عز وجل - إبطالَ الآثار الجاهليةِ للتبنِّي "على يد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ومولاهُ زيدِ بن حارثة، وابنةِ عمته زينب بنت جحش؛ ليكون درساً عمليّاً قويّاً، في تحقيق ما أمر الله - تعالى - به، وتنفيذه؛ مهما كانت الرَّغبةُ والهوى، ومهما كانت الآثارُ والنتائجُ.

وهذا شأن المؤمن دائماً مع اللهِ - تعالى - وأوامرِهِ؛ يسمعُ ويطيعُ، ويلبي ويستجيبُ، رَغِبَتْ نفسه في ذلك أم لم تَرْغَبْ، وافقَ المجتمع - مِن حولِه - أم لم يوافِق، رضي الناس عن فعله أم كرهوا!! فالأمر أولاً وأخيراً لله رب العالمين".

٢- النَّحْرُ والحَلْقُ للتحلُّلِ من عُمْرَةِ الحُدَيبِيَةِ:

لما صدَّ المشركون الرسولَ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابَه عن البيت الحرام، حين أرادوا العمرة عام الحديبية، وبعد إبرام الصلح مع قريش؛ كان وقع ذلك عظيماً على صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أمرهم - عليه السلام - بنحر ما معهم من الهَدْي ليُحِلُّوا من إحرامهم؛ لم يستجب أحد من الصحابة لهذا الأمر، مع شدةِ حرصهم على طاعتِه، صلى الله عليه وسلم.

وهنا يتجلى الأثرُ العظيم للقُدوة؛ إذ أشارت أمُّ سَلَمَةَ - رضوان الله عليها - على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقوم هو أولاً فينحرَ بُدْنَهُ ويحلقَ شعرَه؛ لأن صحابته سيقتدون به عند ذلك لا محالة، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "فخرج، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نَحَرَ بُدْنَهُ، ودعا حالقَه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فَنَحَروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً!"

ففي هذه القصة دلالة ظاهرة على التفاوت الكبير بين تأثير القول وتأثير الفعل؛ ففي حين لم يتغلب القولُ على هموم الصحابة وتألُّمِهم مما حدث؛ فلم ينصاعوا للأمر؛ نجدهم بادروا إلى التنفيذ؛ اقتداءً بالرسول - صلى الله عليه وسلم - حين تحوَّل أمرُهُ القَولي إلى تطبيقٍ عمليٍّ؛ حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً. ولهذا يدعو الإسلام إلى دعم القول بالعمل، ومطابقة الأفعال للأقوال، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ .

ويطول بنا الأمر جدّاً؛ لو حاولنا استقصاء المواقف التي كان فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوةً لأصحابه، وإنما يمكن القول - إجمالاً - بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قدوة لأصحابه في كل شيء، وفي جميع المجالات..

ففي الغزوات يتقدمُ الصَّحابةَ، أو يوجِّههم من مركز القيادة، وكان في غزوة الخندق يربطُ الحجر على بطنه! ويحفر الخندق مع الصحابة، ويرتجز مثل ما يرتجزون؛ فكان مثالاً للمُرَبِّي القدوة، يتبعه الناس، ويعجبون بشجاعته وصبره، صلى الله عليه وسلم.

وكان قدوةً في حياته الزوجية، والصبرِ على أهله، وحُسن توجيهِهِنَّ، فقال صلى الله عليه وسلم: " خَيْرُكُم خَيْرُكُم لأَهْلِهِ، وَأَنا خَيْرُكُم لأَهْلِي" .

وكان قدوةً في حياته الأبوية، وفي حُسن معاملته للصِّغار، ولأصحابه، ولجيرانه، وكان يسعى في قضاء حوائجِ المسلمين، وكان أوفى الناس بالوعد، وأشدَّهم ائتماناً على الودائع، وأكثرَهم ورعاً وحذراً من أكل مال الصدقة، أو الاقتراب مما استرعاه الله من أموال المسلمين.

وكان أفضلَ داعيةٍ إلى الله - سبحانه - يصبرُ على الشدائدِ الناجمةِ عن كيد أعداء الله وأعداء الفضيلة وتواطئهم، وكان حازماً لا يفقد حزمَه في أشدِّ المواقفِ هولاً وهَلَعاً وجَزَعاً؛ لأن ملجأَهُ إلى الله -سبحانه - يستَلْهِمُ منه القوةَ والصبر، وموقفُهُ من ثقيفٍ في الطائفِ - عندما ذهب لدعوتهم - خير دليل على ذلك .

تأثيرُ القدوةِ الصالحةِ في الأطفال:

لا يَسْهُلُ على الطفلِ إدراكُ المعاني المجردة؛ لذا فهو لا يقتنعُ بتعاليمِ المربي وأوامره بمجرد سماعها، بل يحتاج مع ذلك إلى المثالِ الواقعيِّ المشاهَدِ، الذي يدعمُ تلك التعاليمَ في نفسِهِ، ويجعله يُقْبِلُ عَلَيها ويَتَقَبَّلُها ويعملُ بها.

وهذا أمرٌ لم يَغْفُل عنه السَّلَفُ الصَّالِحُ، بل تَنَبَّهُوا له، وأَرْشَدُوا إليه المربين، فها هو عمرُو بن عتبةَ يُرشِد مُعلِّمَ ولدِه قائلاً: "لِيَكُنْ أولَّ إصلاحُكَ لِبَنِيَّ إصلاحُك لنفسِك؛ فإن عيونَهم معقودةٌ بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما صَنَعْتَ، والقبيحُ عندهم ما تركتَ !" ؛ وهذا يؤكدُ أنه لا سبيل إلى التربيةِ السليمةِ إلا بوجود قُدوةٍ صالحةٍ تغدو نموذجاً عمليّاً للامتثال للأوامر، والاستجابة لها، والانزجار عن النواهي، والامتناع عنها .

وقد كان شبابُ الإسلام وناشئوه في عصر النُّبوَّةِ يحرِصون على الاقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقليدِهِ ومحاكاتِهِ في جميع أمورِهِ؛ في وُضُوئِهِ، وصلاتِهِ، وقراءَتِهِ للقرآن، وقيامِهِ، وجلوسِهِ، وكرمِهِ، وجهادِهِ، وزهدِهِ، وصلابتِهِ في الحق، وأمانتِهِ، ووفائِهِ، وصبرِهِ...

ومما يروى من ذلك:

ما أخرجه البخاريُّ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((بِتُّ عند خالتي ميمونةَ ليلةً، فقامَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فلما كان في بعض الليل، قام رسول الله فتوضَّأ من شَنٍّ معلَّقٍ[١٠] وُضوءاً خفيفاً، ثم قام يصلي، فقمتُ فتوضَّأتُ نحواً مما توضأ، ثم جئتُ فقمتُ عن يساره، فحوَّلني فجعلني عن يمينِه، ثم صلى ما شاء الله...)) .

وأولُ المطالَبين بالقدوةِ الحسنةِ هما الوالدانِ؛ لأنَّ الطفلَ الناشئَ يراقبُ سلوكَهما وكلامَهما، ويتساءل عن سبب ذلك، فإن كان خيراً فخير.. فهذا عبدُ الله بن أبي بَكْرَةَ يراقبُ - وهو طفلٌ - أدعيةَ والدِهِ، ويسألُه عن ذلك، ويجيبُه والدُه عن دليلِ فِعْلِه هذا:

فعن عبدِ الله بن أبي بَكْرَةَ - رحمه الله - قال: (قلتُ لأبي: يا أبتِ، أسمعُك تقول كلَّ غَدَاةٍ : "اللهمَّ عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت"، تكرّرُها ثلاثاً حين تصبحُ، وثلاثاً حين تمسي؟! فقال: يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو بهن، فأنا أحب أن أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ) .

فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامرِ الله - تعالى - وسنةِ رسوله - صلى الله عليه وسلم - سلوكاً وعملاً، والاستزادةِ من ذلك ما وَسِعَهم ذلك؛ لأنَّ أطفالَهم في مراقبةٍ مستمرَّةٍ لهم، صباحَ مساءَ، وفي كل آنٍ، "فقدرةُ الطفل على الالتقاطِ الواعي وغيرِ الواعي كبيرةٌ جدّاً، أكبرُ مما نظنُّ عادةً، ونحن نراه كائناً صغيراً لا يدرِك ولا يَعي" .

فوائدُ القدوةِ الصالحةِ في تربيةِ النشءِ:

تؤتي القدوةُ الصالحةُ فوائدَ تربويةً عظيمةً في تنشئةِ الصغارِ، نذكر منها:

• تحقيقُ الانضباطِ النفسيّ، والتوازنِ السلوكيّ للطفلِ.

• وجودُ المَثَلِ أو النموذجِ المُرْتَقَبِ في جانبٍ من الكمال (الخُلُقِي، والديني، والثقافي، والسياسي)؛ حيث يثيرُ في النفسِ قَدْراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة.

• مستوياتُ الفهمِ للكلامِ عند الناس تتفاوتُ، لكنَّ الجميعَ يتساوى عند النظر بالعين؛ فالمعاني تصل دون شرح!

• القدوةُ - ولا سيما من الوالدين - تُعْطِي الأولادَ قَنَاعةً؛ بأنَّ ما عليه النموذجُ القدوةُ هو الأمثلُ الأفضلُ الذي ينبغي أن يُحتذَى.

الأطفالُ ينظرون إلى آبائهم وأمهاتهم نظراتٍ دقيقةً فاحصةً، ويتأثَّرون بسلوكهم دون أن يدركوا! ورُبَّ عملٍ - لا يُلْقِي له الأبُ أو الأمُّ بالاً - يكونُ عند الابنِ عظيماً! .

ثانياً : أسلوب القصـة :

يتميز الأسلوب القصصي بتأثيره الكبير على المتعلم ، فمن خلال العرض المتسلسل للقصة يتشوق المتعلم للاستماع مما يزيد من انتباهه ، وتركيزه وتفاعله مع أحداثها وبالتالي تحقيق الهدف من سرد القصة .

وقد جاء في تعريف القصة أنها : " حادثة وقعت ، لها بداية ونهاية ، مرتبطة بأسباب ونتائج ، تتخللها دروس وعبر يهفو إليها السمع ، وينجذب إليها الذهن ، ويتحرك لها الفؤاد ، ويتأثر منها الوجدان "

وعرفها آخرون بأنها : " الأخبار عن أحداث حقيقية سابقة ، بكلام حسن الألفاظ ، صِيغ بأسلوب بديع مشوق جذاب ، وقد احتوى على العبر والحكم والعجائب ، يهدي السامع بسحره للنفوس ، إلى الدين ويرشد إلى الخير وفضائل الأعمال "

لذا يُعد هذا الأسلوب من أنجح الأساليب التربوية وأكثرها استحساناً من المتعلمين ، لما فيها من تأثيرات نفسية تعمل على إثارة انفعالات ومشاعر وعواطف المستمعين وتوجيهها لتقمص شخصيات القصة والتفاعل معها ، ولما لها من تأثيرات خيالية حيث تثير قدرات متلقيها التصورية والخيالية ، ومؤثرات إدراكية حيث تؤثر على تفكير المستمع ، ويسير الدرس بالأسلوب القصصي وفق خطوات متسلسلة منتظمة تشمل : التمهيد ، وعرض القصة ، ومناقشة القصة ، وتحليلها .

ولقد استخدم القرآن الكريم أسلوب القصة في التربية ، قال تعالى : { نحن نقص عليك أحسن القصص }. كما استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب القصة كوسيلة من وسائل التربية وبالذات في غرس القيم بكافة أنواعها بما فيها القيم الإسـلامية .

ويجب أن تتوفر في القصة عدة شروط منها :

١ـ أن تكون القصة منسجمة مع أهداف الإسلام ومبادئه وقيمه بحيث تقدم هذه القيم في إطار أهداف الإسلام

٢ـ أن تكون مناسبة للسن الذي تكتب له .

٣ـ أن تراعي العناصر الفنية للقصة من حيث البنية العامة والنسيج القصصي والأسلوب المناسب والحبكة والتشويق ، ومراعاة الإطارين الزماني والمكاني وطريقة العرض وشخصية البطل والشخصيات الثانوية ثم نوع القيم ومصدرها وطريقة عرضها وغير ذلك من شروط .

٤ـ أن تتناول القصة مواضيع تتيح المجال إلى تنمية القيم ومعايير السلوك الإيجابية .

وقد استخدم رسولُ الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - أُسْلوب القَصَص الهادف في التَّربية؛ لما للقصَّة المشتمِلة على العِظة والعبرة من تأثيرٍ بالغٍ في النُّفوس؛ لأنَّ النَّفس بطبيعتِها تنجذب إلى القصَّة، وتأخذ القصَّة بمجامع القلوب، فإذا أودعت فيها الحكمة والعِبرة كانت الغاية، والرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - لا يَحكي القصص لمجرَّد أنَّه قصص للتَّسلية وتزْجية الأوْقات؛ ولكنَّه يقصُّ القصص من أجْل التَّربية، وترسيخ المعاني الإيمانيَّة، والأخلاق المرْضية .

وممَّا يُرْوى عنْه - صلَّى الله عليْه وسلَّم - في ذلك: ما رُوِي عن أبِي هُريْرة - رضِي الله عنْه -: أنَّه سمِع النَّبيَّ - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقول: " إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبْرص وأقْرع وأعْمى، فأراد الله أن يبتلِيَهم، فبعث إلْيهم ملكًا، فأتى الأبْرص فقال: أيُّ شيء أحبُّ إلْيْك؟ قال: لون حَسَن، وجِلْد حسن، ويذهب عني الَّذي قد قذرني النَّاس، قال: فمسحَه فذهب عنْه قذره، وأُعطي لونًا حسنًا

وجلدًا حسنًا، فقال: فأيُّ المال أحبُّ إليْك؟ قال: الإبل، قال: فأُعْطِي ناقة عُشَرَاء، فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فقال: أيُّ شيء أحبّ إليْك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عنِّي هذا الَّذي قذرني النَّاس، قال: فمسحه فذَهَب عنه، وأُعْطي شعرًا حسنًا، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر، فأُعْطِي بقرة حاملاً، فقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأعْمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرُدَّ الله إليَّ بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردَّ الله إليْه بصره، قال: فأيُّ المال أحب إليْك؟ قال: الغنم، فأُعْطِي شاة والدًا.

فأنتج هذَانِ وولَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثمَّ إنَّه أتى الأبْرص في صورته وهيْئته فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بي الحِبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلاَّ بالله ثمَّ بك، أسألك - بالَّذي أعطاك اللَّون الحسن والجِلْد الحسن والمال - بعيرًا أتبلَّغ عليْه في سفري.

فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأنِّي أعرفك، ألَم تكُنْ أبْرص يقذرك النَّاس، فقيرًا فأعْطاك الله؟ فقال: إنَّما ورثت هذا المال كابِرًا عن كابر، فقال: إن كنتَ كاذِبا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ.

قال: وأتى الأقْرع في صورته، فقال له مثلَ ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا، فقال: إن كنتَ كاذِبًا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ.

قال: وأتى الأعْمى في صورته وهيْئته، فقال: رجُل مسكين وابنُ سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلاَّ بالله ثمَّ بك، أسألك - بالَّذي ردَّ عليْك بصرك - شاةً أتبلَّغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعْمى فردَّ الله إليَّ بصَري، فخُذْ ما شئت، ودَعْ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته لله.

فقال: أمْسِكْ مالك، فإنَّما ابتُليتُم، فقد رُضي عنك، وسُخِط على صاحبيك .

فبهذِه القصَّة استطاع الرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - أن يغرِس في نفوس أصحابه الكثير والكثير من القيم الإسلامية؛ كالصِّدْق، والكرم، وشُكْر النِّعمة ... إلخ، بأُسلوبٍ كلُّه تشْويق وإثارة، وطرافة في الموْضوع، وبساطة في الأسلوب .

ومن القصص المؤثِّرة والمقْنِعة الَّتي وردتْ في السنَّة أيضًا: قصَّة أصْحاب الغار، وقصَّة اختِصام الملائكة فيمن قتَل مائةَ نفْسٍ، ثمَّ توبته بعد ذلك، وغيرها كثير، ممَّا يجعل في عرْضها الفائدة الكبيرة في إنْجاح العمليَّة التَّربوية وتأكيد فاعليتها؛ **وذلك لاشتِمالها على الفوائد التَّالية:**

١- التَّشويق، وجذْب الانتباه، وترْكيز الذِّهن، وإثارة المشاعر، بِما يشدُّ السَّامع إلى مجْريات القصَّة؛ حتَّى يستجليَ أحداثَها ويعرف نتائجها.

٢- تحفيز السَّامع أو القارئ إلى أخْذ العِبْرة من أبْطال القصَّة، واختيار السَّبيل المناسب.

٣- دفع السَّامع أو القارئ إلى الاقتِداء بأبطال القصَّة في الأمور الخيِّرة، ونبذ ما سوى ذلك.

٤- إشْباع حبِّ الاطِّلاع لدى السَّامع أو القارئ؛ لمعْرِفة مواقف وفواصل وتداخُلات القصَّة حتَّى يصِل إلى عُقْدة الحل.

٥- التَّركيز على "عمليَّة الإيحاء"، الَّتي تُعْتَبر من أهمِّ وسائل الإقْناع في التَّربية والتَّوجيه .

وكل هذا وغيْره يَجعل للقصَّة أهمِّيَّة بالغة، تتمثَّل في تأْثيرها النَّفسي الكبير عند المتعلِّم، وهو ما يدفعه تلقائيًّا إلى تعْديل سلوكه وتغْيير ميوله .

وقد أكَّدت الدِّراسات الحديثة: أنَّ القصَّة مصْدر هامٌّ من مصادِر المعْرِفة، الَّتي يستمدُّ منها الطِّفْل إحساسَه بذاتِه بين البشر، ويستطيع من خِلالِها أن يسيْطِر على العالم من حولِه بما يملكُه من معارف، ومن خِلال القصَّة يستطيع الطِّفل أن يجِد الإجابة عن العديد من تساؤُلاته، ويحلَّ كثيرًا من الأَلْغاز الوجوديَّة التي يُجابِهها، ويجد الحلول لكثيرٍ من المشْكِلات الَّتي يصادِفُها انفعاليًّا، "بتقديم النَّماذج الإيجابيَّة من أبطال هذه القصَص التي يتعاطف معها الطفل، ويعرف مِن خلالِها كيف يحلُّ أزماته الانفعاليَّة، ويكون قادرًا على السَّيْطرة على عالمه الدَّاخلي، كما تشكِّل القصَّة ركنًا هامًّا من أرْكان تحديد الهُوِيَّة الاجتِماعيَّة للطِّفْل، وانتِمائه الثَّقافي من خلال موضوعاتِها ورموزها، المرتبطة بالواقع والمجتمع المحيط بالطفل من جهة، والمرتبطة بالثَّقافة العامَّة للمجتمع من جهة أخرى" .

وفي هذا كلِّه ما يؤكِّد على الأهميَّة التَّربويَّة لأسلوب القَصِّ؛ فعلى المربِّين أن يُكثروا من رواية القِصص والحكايات التي تزوِّد صغارهم بالخبرات، وتكون متضمِّنة ذكر الله - تعالى - وقدرته، ويفضَّل أن تُرْوَى للصَّغير القصص التي يكون فيها الحيوانات والطُّيور؛ لأنَّه يحبُّها، ولأنَّها توسِّع خياله وتَجعله يحب القصص والحكايات.

ويجب أن يخصَّص وقت من النَّهار (قبل النوم مثلاً)، وفي نهاية الأسبوع، وفي الرحلات؛ وذلك لسرْد القصص التي يستمدُّ منها الطِّفْل خبرات الآخرين، وتزْرع في نفسِه القِيَم وحبَّ الخير، وتُتِيح له فُرْصة الحوار مع والدَيْه أو أحدهما؛ لتفسير المواقف الَّتي مرَّ بها.

وتُرْوى له حكاية الإنسان على الأرْض (قصَّة سيِّدنا آدم - عليه السلام -)، ويوضَّح له أنَّ عدو الإنسان على هذه الأرْض هو الشَّيطان الذي يأمُر بالشَّرِّ، وأنَّ الإنسان يجب أن يعْمَل الخير، ويعبد الله؛ حتَّى يرجع إلى الجنَّة.

وتُرْوى له قصص الأنبِياء، ويُحَبَّب إليْه الأنبياء والصالحون، وتُرْوى له حكايات عن النَّبيِّ - صلَّى الله عليْه وسلَّم - توضِّح صفاتِه وأخلاقَه، ممَّا يحبِّب إليْه الرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم.

ثالثاً : أسلوب الوعظ والإرشاد :

وهو من الأساليب التربوية التي تستخدم بكثرة في المواقف التربوية المختلفة لما له من أثر على المتعلمين ، يقول أحد المفكرين : " فالقول البليغ والموعظة الحسنة والإرشاد السديد يصل إلى قلب المتعلم ويؤثر فيه بقوة " .

"والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تتخذ أسلوب الوعظ أساساً لمنهج الدعوة وطريقاً لإصلاح الأفراد وهداية الجماعات ، وتنوعت أساليب القرآن المستخدمة في الموعظة "

وقد تكررت المواعظ في كتاب الله الذي يعد بمجمله موعظة بدليل قوله تعالى : { يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور } .

وتضمنت السنة النبوية العديد من المواعظ البليغة وشاع استخدامها لدى السلف الصالح من خلال دروسهم وخطبهم وأشعارهم ، ولكي تتحقق الفائدة من هذا الأسلوب يجب أن تكون الموعظة :

١ـ خالصة لوجه الله تعالى .

٢ـ طيبة وتتم بطريقة لبقة أو بأسلوب حكيم يقبله من تسدي إليه النصيحة .

٣ـ صادرة من مصدر عليم موثوق مقرب إلى نفس المراد نصحه أو دعوته كما يجب أن يكون الناصح صادقاً.

٤ـ متمشية مع القدوة أو وسائل التعليم الأخرى ذات المفعول الأكيد .

٥ـ متنوعة على أن تكون بأسلوب غير مباشر عندما يكون ذلك ممكناً ، أو بطريق مباشر عندما يكون ذلك ضروريا .

٦ـ مراعاة التدرج في الموعظة .

٧ـ اختيار الوقت المناسب للموعظة والعبرة .

٨ـ عدم الإكثار من الموعظة لئلا تملها النفوس .

ويرى الباحث أن الواعظ لا يعتمد فقط على التعبير الإنشائي في هذا الأسلوب ، بل يجب عليه أن ينوع فيها فيستخدم عدة أساليب كالأسلوب القصصي ، وأسلوب ضرب الأمثال ، والترغيب والترهيب ، وأن يختار الأوقات المناسبة للموعظة حتى تحقق الهدف منها .

إنَّ لِنُصْحِ المربي أثراً كبيراً في تصحيح بعض الأخطاء التي قد يقع فيها الطفل؛ من إساءة الأدب، أو عدم التحلي بالأخلاق الفاضلة، أو فعل حركات غيرِ لائقة؛ ولهذا فرض الإسلام طريقَة التوجيه والإرشاد والتذكير طريقةً تربوية؛ يستغلها المربي مع من يربيه، والمعلم مع من يعلمه، والمسلم مع أخيه؛ ابتغاءً للخير، ونفوراً عن الشر:

فقال تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } ، وقال تعالى: { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) .

واستخدامُ أسلوبِ التوجيه والإرشاد في التربية لا يجعله وَقْفاً على المربي، بل للتلميذ دورُه ورأيُه، ولِوَلِيِّ الأمر دورُه ورأيُه، ويكون للمجتمع كلِّه سُلطةُ التوجيه التربوي، فلا (ديكتاتوريةَ) لفرد، وإنما التربية جِمَاع اهتماماتِ القيادة والتلاميذ، أو أُولي الأمر والمجتمع؛ ولذا جعله الإسلام مبدأً حيويّاً من مبادئ التربية .

وطريقة التوجيه والإرشاد المباشر من أقرب الطُّرُق إلى مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات الفكرية؛ ليحفظها مع فهمها؛ وهو ما يجعل الطفل أشدّ قَبولاً، وأكثر استعداداً للتلقي، أما اللفُّ والدوران فليس لهما في التعامل مع الطفل نصيبٌ، وهكذا علمَنا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- أن نخاطبَ الطفلَ -في كثير من المناسبات- خطاباً مباشراً، بصراحةٍ ووضوح .

وقد مضى كثير من الأحاديث التي رأينا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يستخدم فيها هذا الأسلوب في تربية الطفل، ومن ذلك -أيضاً- ما رُوِي عن أنس -رضي الله عنه- قال:

قالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" يَا بُنَيَّ، إِذَا قَدِرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِي وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأحَدٍ، فَافْعَلْ" .

ثُمَّ قَالَ لِي: " يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ" .

فالرسولُ -صلى الله عليه وسلم- يعرِض توجيهاتِه ونصائِحَه للطفل، بأسلوب سهل مباشر، يتناسب مع قدرة الطفل على الفهم وتقبُّل الخطاب، معتمداً على كلمات مختصرة مفيدة، لا طول فيها ولا إملال، وهو ما ينسجم مع طبيعة الطفل الفكرية.

وأسلوب التوجيه والإرشاد في التربية يحتاج من المربي إلى شيء من الحرص؛ لكيلا تتحول توجيهاته وإرشاداته إلى فضائحَ وهتكٍ للستر!! فإنَّ مَن نَصَحَ أخاه سِرّاً فقد زانه، ومن نصحه جهراً فقد فضحه وشانه، وإن كان لا بد من الجهر بالتوجيه والنصيحة، فليكن ذلك بالإيماء والإشارة التي تكشف عن النصيحة المطلوبة محفوفةً بالستر، بعيداً عن الفضائح، وهو أسلوب حكيم اتَّبَعَهُ النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كان من هديه -صلى الله عليه وسلم- أنه إذا رأى شيئاً من أصحابه أو بَلَغَهُ عنهم شيء، وأراد أن يدلَّهم وسائرَ أصحابِه على الحق فيه؛ فإنه لا يُصرِّحُ بأسمائهم ولكنه يُلَمِّحُ؛ فيسترُهم، ويحصلُ مقصودُه -صلى الله عليه وسلم- من النصح، فيقولُ صلى الله عليه وسلم: " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟!" .

كما في قصة (الثلاثةِ الَّذِينَ أَتَوْا بُيُوتَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَأَلُوا عَنْ عِبَادَتِهِ، فَكَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَداً. وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ فَلاَ أُفْطِرُ. وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَداً..؛ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا؟ ثُمَّ قَالَ: "وَلَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنَ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي" .

وعن أبي حُمَيْد الساعدي قال: (اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ -يُقَالُ له: ابنُ اللُّتْبِيَّة- عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذا أُهْدِيَ لِي!! فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ - أَوْ: بَيْتِ أُمِّهِ- فَيَنْظُرُ: أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً؛ إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ؛ إِنْ كَانَ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ" !! ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَة إِبْطَيْهِ: "اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ! اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ" ثلاثاً .

وهو في هذا يُرَبِّي أُمَّتَه بتوجيههم وإرشادهم إلى ما يُقَوِّم سُلُوكَهُم، ويهذِّب أخلاقهم.

رابعاً : أسلوب الترغيب والترهيب :

الترغيب هو " وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة خالصة من الشوائب ، مقابل القيام بعمل صالح ، أو الامتناع عن لذة ضارة ، أو تحمل شيء ابتغاء مرضاة الله ، وذلك من الله لعباده" أما الترهيب فهو : " وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به "

ويعتبر هذا الأسلوب من الأساليب المناسبة للطبيعة البشرية لأن الإنسان يتحكم بسلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر ، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب في مواطن عدة يبين الله سبحانه وتعالى فيه جزاء من اتبع الحق الذي أنزله مثل قوله تعالى : { إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حِولا } وفي المقابل جزاء الكفار والعصاة مثل قوله تعالى : {والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون } .

ويعد أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب المؤثرة في مجال القيم ، فهو من أكثر أساليب بناء القيم لكونه يتمشى مع ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء والرهبة من الألم والشفاء ، ولذلك فالبدء بغرس القيم الإيمانية في النفوس يسهل لأسلوب الترغيب والترهيب مهمته ودوره في التأثير على النفوس .

ولكي يكون هذا الأسلوب فاعلاً في التعليم يجب مراعاة الآتي :

١ـ ألا يقسو المربون على الإنسان في بداية التعلم ، أو الطريق إلى الله إنما يجب أن يتدرجوا في الترهيب .

٢ـ أن أسلوب الترغيب أفضل من أسلوب الترهيب .

٣ـ أن المعلم يمكن أن يزيد من قوة تأثير الترغيب والترهيب بإظهار انفعالاته وخشوعه حتى تنتقل إلى الطلاب عن طريق التصوير الفني والاقتداء والتأثير خصوصاً إذا كان المعلم محبوباً لدى الطلاب .

٤ـ أن يستخدم الترغيب والترهيب بطريقة مناسبة لخبرات الطلاب وموضوع التعليم والبيئة المحيطة بالمتعلم .

٥ـ أن يستخدم الثواب والعقاب لتعلم الأساسيات وأداء الفروض ، وأن يستخدم الثواب فقط لداعي الإبداع والتطوع .

عُنِي القرآن الكريم والسنة النبوية بالترغيب والترهيب، كأسلوب مهمٍّ من أساليب التربية.

والترغيب: وعْد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيّرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعَمَل صالح، أو الامتناع عن لذَّة ضارة أو عمل سيئ؛ ابتغاءَ مرْضاة الله، وذلك رحمة من الله بعبادِه.

والترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتَّب على اقتراف إثْم أو ذنب، مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمَرَ الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية؛ ليكونوا دائمًا على حذر منَ ارتكاب الهَفَوات والمعاصي .

ويمتاز أُسلوب الترغيب والترْهيب في القرآن الكريم والسنة النبوية، عن غَيْره من أساليب الثواب والعقاب في المناهج التربويَّة الأخرى - بأنه يعتمد على الإقناع والبرهان، ويكون مصحوبًا بتصوير فنيٍّ رائع للثواب المرغَّب فيه، المتمَثِّل في الجنة، وكذلك للعقاب المنتظر، المتمثل في جهنم - أعاذنا الله منها –كما يعتمد الترغيب والترهيب في القرآن والسنة - أيضًا - على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية؛ كعاطفة الخوف من الله تعالى، والتذلُّل والخشوع له – سبحانه - والطَّمَع في رحمته، والأَمَل في ثوابه .

ومن أساليب الثواب والعقاب التي يُمكن أن تستنبط منَ السنة النبوية ما يلي:

أولاً: من أساليب الثواب:

١- القُبلة:

تُعَدُّ القُبلة للطفل الصغير أسلوبًا مهمًّا من أساليب الإثابة؛ وذلك لأنَّ للقُبلة دورًا فعَّالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دورًا كبيرًا في تسكين ثَوَرانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليلُ رحمة القلب والفؤاد بهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضُع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع مَنْ حوله، ثم هي أولاً وأخيرًا السُّنة الثابتة عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - مع الأطفال.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قَدِم ناس من الأعراب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: أتُقَبِّلون صبيانكم؟ فقال: " نعم" ، قالوا: لكنا والله لا نُقَبِّل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أَوَأَمْلِك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟!" .

٢- إدخال السرور على الطفل بمُداعبته ومُمازحته:

إحساس الفرح والسرور يلعب في نفس الطفل شيئًا عجيبًا، ويؤثِّر في نفسه تأثيرًا قويًّا، فالأطفال - وهم براعم البراءة والصفاء - يحبُّون الفرح، بل هم أداة الفرح للكبار، ويحبون الابتسامة حين يشاهدونها على وُجُوه الكبار.

وبالتالي فإن تحريك هذا المؤثِّر في نفس الطفل سيورث الانطلاق والحيوية في نفسه، كما يجعله على أُهْبَة الاستعداد لتلقِّي أي أمْر، أو مُلاحَظة، أو إرْشاد.

وكان - صلى الله عليه وسلم - يُدْخل الفَرَح والسرور على نُفُوس الأطْفال؛ لما للسرور من بَراعة في إسعاد الطفل، ولما للفَرَح من قوَّة في التأثير .

٣- الإثابة بالمدْح والثناء:

مدْح المربِّي للصغير وثناؤه عليه مِن أكثر الأُمُور التي تدخِل السرور على قلْبه، وتشعره بأهمية هذا العمل الذي مُدِح من أجْله، وتدفعه إلى تَكراره والاستكثار منه؛ وفي السنة النبوية ما يدلُّ على أهمية المدح والثناء، كوسيلةٍ من وسائل الإثابة والتشجيع على طَلَب العلم؛ من ذلك ما رُوي عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لقد ظننتُ ألاَّ يسألني أحدٌ عن هذا الحديث أول منك؛ لما علمتُ من حرصك على الحديث...) .

فبهذا المدْح والثناء الرَّقيق يستثير الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أبي هريرة الرغبة والحرص على طَلَب الحديث، ويدفعه دائمًا لأن يكون سبَّاقًا في السؤال عنه.

٤- الإثابة بالمكافَأة المادية (الهدية):

الهديَّة تُدخل السرور على النفوس، وتزيد أواصر المحبة بين المُهْدِي والمُهْدَى إليه، وهو ما أرشد إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: " تهادوا تحابُّوا" .

ومن ثَم؛ فإن منَ الوسائل التربوية المُفيدة تقديمَ الهدايا والمكافآت المادية للمجيدين والمتفوّقين من الناشئة والمتعلِّمين؛ فإن ذلك يثير نشاط المتعلِّم، ويبعث فيه الحماس، ويفجر فيه ينابيع الطموح والتنافُس والعزيمة، ويحرك فيه الجد والاجتهاد، والإخلاص والاستقامة.

ثانيًا: مِن وسائل العقاب:

١- الحِرْمان منَ التشجيع:

من وسائل العقاب التي أرشدت إليها السنة النبوية: الحِرْمان منَ التشجيع؛ حيث يعمد المربِّي إلى حرمان مَن يعاقبه مما كان قد عوَّده من تشجيع، أو مدح، أو ثناء، وما شابه ذلك؛ يدل لهذا من سنته - صلى الله عليه وسلم - ما ترويه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في قصة الإفك من موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - منها حين مرضتْ، وأنه لم يكن يزيد على قوله: " كيف تِيكُم؟" ، دون أن ترى منه - صلى الله عليه وسلم - ما كانت تراه من اللُّطْف الذي كانتْ تعرفه منه حين تمْرض.

وبهذه الطريقة في المعامَلة يضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمام المربِّين وسيلة من وسائل العقاب التربوي، قد تكون من أجدى أنواع العقوبات التي يُمكن أن يعاقب بها الطفل، وأكثرها ملاءمة لنفسيته في المراحل الأولى من دراسته.

٢- اللَّوم والتوبيخ:

لا بأس أن يلجأ المرَبِّي إلى توبيخ الناشئ أو المتعلم إذا ما أخطأ خطأ يستوجب العقاب، ويمكن الزجْر عنه بالتوبيخ.

وقد استخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسلوب التوبيخ حيث دعت الحاجة إلى ذلك؛ حيث يُروى عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه -: أنه عَيَّر رجلاً بسواد أمِّه، فوبَّخه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: " إنك امرُؤٌ فيك جاهلية" .

لكن ينبغي للمربِّي ألاَّ يُفْرط في استخدام التوبيخ؛ لأن ذلك قد يكون له تأثير سلبي على الناشئ، فلا بد أن يراعي المؤدِّب حال الصغار، والفروق بينهم في الطباع والأخلاق، فمنهم مَن يكفي في لومه

وإشعاره بخطئه نظرةٌ قاسية، ومنهم من يرتجف فؤاده بالتلميح، ومنهم مَن لا يردعه إلا التصريح باللوم والتوبيخ، وعلى المربّي أن يحدِّدَ الطريقة الملائمة للتوبيخ مع كل منهم.

٣- الهجْر والمقاطعة:

وقد لجأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هذا الأسلوب في عقابه للثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك؛ حيث أَمَرَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحابته ألاَّ يكلِّموهم، فجرت المقاطعة بين المسلمين وبين هؤلاء الثلاثة؛ حتى ضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت" ؛ قال تعالى: { لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } .

وهذا يدل على أن مؤدب الناشِئِين يحق له - بل يجب عليه أحيانًا - أن يَحرم المخطئين من مُعاشَرة زملائهم فترة من الزَّمَن؛ عقوبة وردعًا لهم، حتى يشعر بندمهم وتوبتهم ورجوعهم إلى الصواب، أو يأخذ عليهم العهْد بذلك، شريطة أن يعرفوا أخطاءهم، وسبب إنزال هذه العقوبة بهم، وأن يتوسَّم فيهم الاستفادة من هذه العقوبة .

٤- العقاب البدني:

أقرَّت السنة النبوية العقاب البَدَني كوسيلة من وسائل مُعالجة الأخطاء، إذا توقَّف العلاج على ذلك؛ فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر" .

لكن لا بد منَ الحَذَر من المبالغة في العقاب البدني؛ بل لا بد أن يقتصرَ المربّي منه على أقلِّ ما يؤدِّي الغرض؛ ومن ثم ينبغي أن يراعي المربي عند إقدامه على العقاب البدني ما يلي:

أولاً: الاكتفاء بإظهار أداة العقاب إن تم الزجْر بذلك؛ لأن كثيرًا من الصغار والأطفال يرتدعون وينزجرون بمجرَّد رؤيتهم للعصا أو السوط، ونحو ذلك من أدوات العقاب البَدَني، فإذا ارتدعوا وانزجروا، فقد حصل المقصود؛ فلا داعي إلى الإيقاع الفعلي للضَّرْب.

وقد أرشدت السنة النبوية إلى مجرَّد إظهار أداة العقاب، وهو في حدِّ ذاته وسيلة من وسائل التأديب؛ حيث يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا: "علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت؛ فإنه أدب لهم" .

ثانيًا: الاقتصار على شدِّ الأذن ونحو ذلك، دون لجوء إلى الضرب، حيث كان ذلك مجديًا؛ لأن الصغير يتعرَّف بذلك على ألم المخالفة، وعذاب الفعل الشنيع الذي ارتكبه، واستحقَّ عليه شدَّ أذنه؛

فقد قال النووي في "الأذكار": روّينا في كتاب ابن السني عن عبدالله بن بسر المازني الصحابي - رضي الله عنه - قال: بعثتني أمي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقِطْف من عنب، فأكَلْتُ منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت أخذ بأذني وقال: " يا غُدَر" .

ثالثًا: عند اللجوء إلى الضرْب ينبغي ألاَّ تقلَّ سنُّ المضروب عن عشر سنين؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الصلاة: " واضربوهم عليها وهم أبناء عشر)" ، فإذا كانت الصلاة - وهي عماد الدين - لا يجوز الضرب عليها قبل سن العاشرة، فما عداها من الأمور أهون وأيسر؛ فلا يعاقب عليه الطفل بالضرب قبل العاشرة أيضًا.

كما ينبغي أن يتراوح عدد الضربات بين واحدة وثلاث فقط؛ فقد كان عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - يكتب إلى الأمصار: "لا يَقْرِن المعلم فوق ثلاث؛ فإنها مخافة للغلام".

وعن الضَّحَّاك قال: "ما ضرب المعلِّم غلامًا فوق ثلاث، فهو قصاص" .

ولا بد من العدل في الضرْب بين الصبيان؛ فعن الحسن قال: "إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِب من الظَّلَمة" .

ولا بدَّ - أيضًا - أن تكونَ أداة الضرب أداة مناسبة لسنِّ الصغير؛ فلا يضرب بأداة تؤلِمه إيلامًا شديدًا، أو تُحدث له كسورًا، أو جروحًا، أو عاهاتٍ؛ لأن الغرضَ - أولاً وأخيرًا - من هذا الضرْب هو التأديب، وليس التشفِّي والانتقام.

ويجتنب المربِّي عند الضرب الوجْه والرأس بما حوى، والمناطق الحسَّاسة من الجسم؛ لأن الضرب في هذه المواضع قد يؤدِّي إلى حدوث عاهات للصغير، وقد نَبَّه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ذلك بقوله: " إذا ضرب أحدكم فليتَّقِ الوجه" .

ومِن حُسْن الأَدَب مع الله - عزَّ وجَلَّ - ورسوله - صلى الله عليه وسلم -: أن يرفع المؤدِّب يده عن الصغير إذا ذكر اسم الله - تعالى - أو النبي - صلى الله عليه وسلم - كما هو عادة كثير من الصغار عند تعرُّضهم للعقاب؛ يدل لذلك ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: " إذا ضرَب أحدكم خادِمه فذكَر الله، فارفعوا أيديكم" .

وقد يقول قائل: إن الطفل إذا علم بهذا قد يتخذها وسيلة للتهرُّب من العقوبة، والعَوْد إلى الخطأ، أو يتخذها حيلة للتخلُّص من الضرب، ويعاود فِعْلَه.

فالجواب عن ذلك: أنه يجب الاقتداء بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فيه من تعظيم الله - تعالى - في نفس الطفل، وهو كذلك علاج للضارب من أن حالته الغضبية كبيرة جدًّا؛ مما استدعى من الطفل ذكر الله تعالى والاستغاثة به.

ولن نتكلم مع ضعاف الإيمان الذين إذا سمعوا مثل هذه الاستغاثات، ازدادوا حمقًا وتعسُّفًا وضرْبًا، فهؤلاء بحاجة أن يذكروا ذنوبهم، وتقصيرهم مع ربهم، وحِلم الله - تعالى - عليهم، مع قدرته عليهم في كل آنٍ .

وهذا يقودنا إلى أمر مهم، وهو أنه يجب على المربِّي ألاَّ يُقْدمَ على عملية الضرب والتأديب وهو في حال غضب شديد؛ فقد كتب عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - إلى أحد عماله: "لا تعاقب رجلاً عند غضبك عليه؛ بل احبسه حتى يسكن غضبك، فإن سكن فأخرجه، فعاقبه على قدر ذنبه".

هذه قاعدة تربوية يجب ألاَّ يحيد عنها المربُّون، ولا ينساها الآباء والأمهات: "لا تؤدِّب وأنت غضبان"؛ لأن الغضب يفقد صاحبه الحكمة والبصيرة والروِيَّة في الحكم، والأناة في بحْث الأمور بحثًا عقليًّا من جميع جوانبها، وحينئذ يأتي الخطأ، ويحدث الظُّلم، ويعيش صاحبه في حالة غضبية، لا يفرق بين الانتقام والتأديب، فالانتقام يصدر عن مبغض كاره، والتأديب يصدر عن قلب رحيم .

٥- التشهير:

مع أن الإسلام يؤكِّد على أهمية ستْر العيوب، والستر على المسلمين وعدم التشهير بهم، فإنه في بعض الأحيان يوجد مَن يصرُّون على ارتكاب الأخطاء، ولا يرتدعون إلا بفضْح أمْرهم والتشهير بهم؛ فحينئذ يجوز ذلك؛ لأن الضرورة قد دعت إليه؛ وقد لَجَأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى هذا الأسلوب من العقاب، فيما يروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسول الله، إن لي جارًا يؤذيني، فقال: " انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق" ، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: " انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق" ، فجعلوا يقولون: "اللهم العنه، اللهم أخْزِه"، فبلغه فأتاه، فقال: "ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك" .

وفي هذا دليل على أن النقد الاجتماعي اللاذع من أساليب التربية الاجتماعية في الإسلام؛ ولكن لا يُلجَأ إليه إلا عند الضرورة القصوى.

خامساً : أسلوب ضرب الأمثال :

ضرب الأمثال أسلوب من أساليب الإيضاح والبيان ، إن لم يكن أقواها في إبراز الحقائق المعقولة ، في صورة الأمر المحسوس . حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم ، ويقع تحت حواسهم ، وفي متناول أيديهم ، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد ، وفي الذهن أرسخ .

وقد قيل في تعريف هذا الأسلوب : "هو حالة تشبيه تحدث في النفس حالة التفات بارعة ، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صـورة المثل المأنوس "

كما عرفه الحدري بأنه : " أسلوب من أساليب الكلام يؤتى به لعرض حقيقة من الحقائق ، أو للربط بين أمرين أحدهما غائب عن الذهن ، والآخر محسوس متخيل في الذهن ، وذلك لتقريب ما غيب عن الذهن من المعاني بصورة بلاغية موجزة تنفذ إلى أعماق النفس مثيرة للعواطف والوجدان "

وقد يفرض الموقف التعليمي على المعلم استخدام التشبيه للأشياء التي يصعب على المتعلم تخيلها وإدراكها وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب التربوي ، فضرب العديد من الأمثال :

{ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون}

(وقال تعالى : {وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون}.

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ضرب الأمثال في الكثير من أحاديثه الشريفة مثل حديث المؤمن كالنخلة .

ولضرب الأمثال فوائد في التعلم تتمثل فيما يلي :

١ـ الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل ، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة من الفهم .

٢ـ الأمثال أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع .

٣ـ تقريب الفكرة إلى أذهان المتعلمين .

٤ـ تلخيص الخبرات الإنسانية المتفق عليها ، وكلما كان المثال أكثر شمولاً لأجزاء من خبرات الإنسان وقيمه كلما كانت أكثر استعمالاً وقيمة .

٥ـ تقبل ما يراد تعلمه واكتسابه من خبرات حيث يوجد أساس لبناء الخبرات الجديدة التي يراد اكتسابها وبذلك يسهل إيداعها في الذاكرة واستدعاؤها منها .

كان أسلوب ضرْب المثَل أحدَ الأساليب الإقناعيَّة الَّتي استخْدَمها القُرآن الكريم والرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - في بيان الحقائق التي يهتدي بها النَّاس، وفي إقامة الحجَّة على مَن ضلَّ عن الهدَف الذي يَرمي إليْه القُرآن والسنَّة، وهو تحقيق العبوديَّة لله وحده[٣]، وغير ذلك من أهْداف التَّربية الإسلاميَّة؛ كتربية العواطِف الربَّانيَّة بإثارة الانفِعالات المناسبة للمعنى من خِلال المثل المضْروب، وتربية العقل على التَّفكير الصَّحيح، والقِياس المنطقي السَّليم[٤].

وقد كان رسولُ الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يستعين على توْضيح المواعظ بضرْب المثل ممَّا يشاهِدُه النَّاس بأمِّ أعيُنِهم، ويقع تَحت حواسِّهم وفي متناول أيديهم؛ ليكون وَقْع الموْعِظة في النَّفس أشدَّ، وفي الذهن أرْسَخ، ومن الأمثِلة على ذلك: ما رواه أنس بن مالك - رضِي الله عنْه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم -: ((مَثَل المؤمِن الَّذي يقرأ القُرآن كمثل الأُتْرُجَّة: ريحها طيِّب وطعْمُها طيِّب، ومَثَل المؤمِن الَّذي لا يقرأ القُرآن كمثَل التَّمرة: طعمُها طيِّب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الَّذي يقرأ القُرآن كمثَل الرَّيحانة: ريحها طيِّب وطعمها مرٌّ، ومثَل الفاجر الَّذي لا يقْرأ القُرآن كمثل الحنظلة: طعمُها مرٌّ ولا ريح لها))[٥].

ومِن الأحاديث - أيضًا - الَّتي استخدم فيها النَّبيُّ - صلَّى الله عليْه وسلَّم - أسلوب ضرْب الأمثال، وأسلوب إثارة الانتِباه، وطرْح السُّؤال على أصحابه؛ ليثير النَّشاط الذِّهْني، ويجذب انتباهَهم ويشوّقهم لما سيقولُه لهم: ما جاء عن أبِي هُريرة - رضِي الله عنْه -: أنَّه سمِع رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقول: ((أرأيْتُم لو أنَّ نهرًا بباب أحَدِكم يغتسل منْه كلَّ يوم خَمس مرَّات، هل يبقى من درَنِه شيء؟)) قالوا: لا يبْقى من درَنِه شيء، قال: ((فذلِك مثَل الصَّلوات الخَمس، يمحو الله بهنَّ الخطايا))[٦].

وترجِع أهمِّيَّة استِخْدام أسلوب ضرْب المثل في التَّربية إلى كوْنِه طابعًا خاصًّا، سواءٌ في إصابة المعْنى بدقَّة، أم في إيجاز اللَّفظ مع فصاحتِه، أم في أداء الغرَض الَّذي سيق من أجلِه الكلام، وهو أعظم من أسلوب التَّلْقين؛ لأنَّه يُثير في النَّفس العواطف والمشاعِر، وعن طريق ذلك يُدفع الإنسان إلى الالتِزام بالمبادئ عمليًّا، هذا إلى جانب أنَّه يُساعد على تصْوير المعاني، وتَجسيدِها في الذِّهْن، وعن طريق ذلك يسهل الفهْم وإثبات المعاني في الذَّاكرة، واستِرْجاعها عند الحاجة[٧].

سادساً : أسلوب التربية بالأحداث :

من الوسائل التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه رضوان الله عليهم أسلوب التربية بالأحداث ، والتربية بالأحداث من الوسائل النافعة والفعالة في التربية ، وذلك " لأنها تؤثر في النفس تأثيراً خاصاً ، هو أقرب للانصهار ، وذلك لأن الحادثة تثير النفس بكاملها ، وترسل فيها قدراً من حرارة التفاعل والانفعال يكفي لصهرها أحياناً أو الوصول بها إلى قرب الانصهار ، وتلك حالة لا تحدث كل يوم في النفس وليس من اليسير الوصـول إليهـا والنفس في راحتـها وأمنـهـا وطمـأنينتـها ، مسترخية ، أو منطلقـة فـــي تأمل رخـــي "

ولا بُد للمربي الناجح أن يستغل الأحداث التي تواجهه في حياته ويستثمرها في التربية لما لها من تأثير نفسي كبير على المتعلم ، ومن خلال الإطلاع على أسباب نزول كثير من الآيات نجد أنها نزلت بسبب حوادث وكان الهدف منها تربية الأمة الإسلامية بالأحداث الجارية مثل حادثة انهزام المسلمين يوم حنين يوم أن أعجبوا بكثرتهم وافتتنوا به ، قال تعالى : { ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين } .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يغتنم فرصة الأحداث التي تقتضي توجيهاً تربوياً أو عمليا ليأخذ منه المسلمون درساً إيجابيا ، فكان يدعو إلى قيمة أو يصحح سلوكاً أو ينفي هذا السلوك الخاطئ .

يقول الأستاذ محمد قطب : " المربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها فلا يكون أثرها موقوتاً لا يلبث أن يضيع "

ومن الفوائد التربوية للتربية بالأحداث :

١ـ تؤثر تأثيراً بالغا في نفس وفكر المتعلم لأنه يكتسب مفاهيم وقعت تحت حاستي السمع والبصر ، وهذه هي درجة اليقين التي هي أعلى مراتب التعلم .

٢ـ تمتاز بتنوع المفاهيم ولا تقتصر على مفهوم واحد ، وهذا مما يجعل المتعلم في استمرارية للتعلم دون شعوره بالملل .

٣ـ تفتح الحوار بين المعلم والمتعلم ، مما يؤدي إلى تنامي الأفكار والمعلومات .

ولكي يكون التعليم بالأحداث فعالاً يجب على المعلم أن :

١ـ أن تكون الأحداث منتقاة لاستغلالها في التعلم مهمة للمتعلم تحوز على اهتمامه وتشغل باله فيشعر بحاجة إلى تفسيرها وإبداء الرأي فيها ، وأن ترتبط بالواقع وبالقيم ، وأن تكون مهمة لكل من الفرد والمجتمع أيضاً .

٢ـ أن يشارك الطالب برأيه في الأحداث .

٣ـ أن تستغل الأحداث لتدريب الطلاب على ربط النتائج بالمقدمات ، والحكم بالقرائن ، والرجوع إلى المصادر الأصيلة أو المصادر المتفق عليها .

٤ـ أن يؤدي البحث في الأحداث إلى المزيد من البحث والاستقصاء والانتباه .

٥ـ أن تؤدي إلى التنبؤ بالأحداث مستقبلاً وذلك بمعرفة الظروف المحيطة والمسببات واتجاهها ومن وصف وفهم الأحداث والظواهر .

سابعا : أسلوب الحوار والمناقشة :

ورد للحوار عدة تعريفات منها : " أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر ، عن طريق السؤال والجواب ، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان إلى نتيجة ، وقد لا يقنع أحدهمـا الآخر " .

ومن أشمل ما ورد في تعريف الحوار أنه : " مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين " وقال آخرون بأنه : " نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب "

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة كقوله تعالى : { أليس ذلك بقـادر علـى أن يحييَ الموتى } .

ولقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار في كثير من تعليماته لإثارة انتباه المتعلمين ، وتشويقهم إلى معرفة الجواب ، وحضهم على إعمال الفكر لمعرفة الجواب ، وكان في حواره يدعم رأيه بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على صدق كلامه .

وقد تنوعت أسئلة الرسول صلى الله عليه وسلم بين التشويق والإغراء ، والتحذير ، والتعجب والتقرير ، والتعليم وسأورد هنا نموذجاً واحداً فقط من نماذج كثيرة اعتمد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس من لا درهم له ولا متاع ، قال ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)) فنلاحظ هنا أن سؤال الرسول كان سؤالاً تشويقياً ، وكانت إجابته مخالفة لما فهموه من السؤال ، مما يؤكد المعنى الجديد في نفوسهم .

ومن أهم الفوائد الجمة التي تعود على الشباب من خلال الحوار معهم ما يلي :

١ـ إشعار الشباب بمكانتهم الرفيعة ودورهم الكبير عن طريق الحوار المفيد البناء معهم .

٢ـ إعطاء الشباب فرصة لتصحيح أخطائهم وأفكارهم وسلوكهم وإصلاح حياتهم ومجتمعهم على أساس من الوضوح والاقتناع والثقة المتبادلة والتقدير والاحترام .

٣ـ تنمية قدراتهم واستعداداتهم ، وتهذيب مشاعرهم النفسية وتربية عواطفهم الوجدانية بشكل سليم وطريقة جيدة .

٤ـ تحصينهم من الأفكار الهدامة والآراء الضالة والسلوك المنحرف .

٥ـ مساعدة الشباب على التواصل والتفاعل والتوافق والتكيف الاجتماعي .

وتؤكِّد السُّنة النبوية اهتمامَ الإسلام بأُسلوب التربية عن طريق العقل والإقناع؛ فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حريصًا على تعليم أصحابه بطريق الحوار[٤]، وكان - صلى الله عليه وسلم - يُحاور في سبيل الإقناع وإقامة الحجة؛ فعن أَبي أُمامةَ رضي الله عنه: أَنَّ فتىً من قريشٍ أَتَى النبيَّ - صلى الله عليه وسلّم - فقالَ: يا رسولَ الله، ائْذَنْ لي في الزِّنا، فأَقْبلَ القومُ عليهِ وزَجَروهُ، وقالُوا: مَهْ مَهْ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ادْنُهْ))، فَدَنا مِنهُ قريبًا، وجعل النبي - عليه الصلاة والسلام – يحاوره ويقول له: ((أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟))، قال الفتى: لا والله، جعلَني الله فِدَاكَ، قال: ((ولا الناسُ يحبُّونَهُ لأمَّهاتِهِمْ))، قال: ((أَفتحِبُّه لابنتكَ؟))، قالَ: لا والله يا رسولَ الله، جعلَني الله فداكَ، قال: ((ولا الناسُ يحبُّونَهُ لِبَناتِهِمْ))، قالَ: ((أَفتحِبُّه لأُخْتِكَ؟))، قال: لا والله يا رسولَ الله، جعلَني الله فداكَ، قال: ((ولا الناسُ يحبُّونَه لأخَواتِهم))، قال: ((أَتحبُّهُ لعمَّتِكَ؟))، قال: لا والله يا رسولَ الله، جعلني الله فداكَ، قال: ((ولا الناسُ يحبونَهُ لعَمَّاتِهم))، قال: ((أَتحبهُ لخالتِكَ؟))، قالَ: لا والله يا رسولَ الله، جعلني الله فداك، قالَ: ((ولا الناسُ يحبونَهُ لخَالاتِهِمْ))، قال: فوضَعَ يدَهُ عليه وقالَ: ((اللهمَّ اغفِرْ ذَنْبهُ، وطهِّرْ قَلبَهُ، وحَصِّنْ فرجَهُ))، قال: فلَمْ يكُنْ بَعْدَ ذلكَ الفَتى يلتفِتُ إلى شيءٍ"؛ رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني.

فنجد أن النبي صلى الله وسلم في هذا الموقف التربوي العظيم قد استخدم الحوار العقلي عن طريق قياس معاملة الآخرين من الناس على معامَلة النفس، لأن النفس البشرية بطبيعتها تحب لذاتها الخير وتكره لها الشر ، وعليه فيجب أن تتجب أذى الآخرين لتنجو من أذاهم .

فما لا يحبه الإنسان لنفسه لا يحبه الآخرون لأنفسهم أيضاً.

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يعتمد على أُسلوب الحوار للإقناع أيضًا مع الصغار، كما يعتمد عليه مع الكبار، مع الفارق - بالطبع - في كيفيَّة الحوار وطريقته؛ ومن ذلك ما يُروى عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: أُيِّمَت أمي، وقدمتْ المدينة، فخطبها الناس، فقالت: لا أتزوج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم، فتزوجها رجل من الأنصار، قال: فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرض غلمان الأنصار في كل عام، فيُلْحِق مَن أدرك منهم، قال: فعُرِضْتُ عامًا، فألحق غلامًا، وردَّني، فقلت: يا رسول الله، لقد ألحقتَه ورددتني، ولو صارعتُه لصرعته، قال: ((فصارِعْه))، فصارعته فصرعته، فألحقني[٥].

وسار الصحابةُ بعد ذلك على منهاج النبوة؛ فهذا عمر بن الخطاب - أمير المؤمنين - يشكو إليه أبٌ عقوق ولده، فما كان من عمر إلا أن استدعى الابن ليفهمَ الحقيقة، فقال عمر للابن: ما حملك على عقوق أبيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما حقُّ الولد على أبيه؟ قال: أن يحسن اسمه، وأن يحسن

اختيار أمِّه، وأن يعلِّمه الكتاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، فالتفت عمر للأب وقال له: لقد عققتَ ولدك قبل أن يعقَّك.

وكان عمر يُحاور الصبيان، حتى إنه يستشيرهم في الأُمُور المهمَّة[٦]؛ حيث كان يفعل ذلك مع ابن عباس - رضي الله عنهما.

وهكذا عُنِي الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابتُه بأُسلوب الحوار، كأسلوب مِن أقوى أساليب الإقناع؛ وما ذاك إلا لأنه يُعَرِّف بالأساس العقليّ والمنطقي لأية قضية تطرَح؛ ليرقى بالمتلقِّي من أسلوب التقليد الأعمى إلى أسلوب إعمال الفِكْر، وإيضاح الحقائق، والحرية في مناقشة أية فكرة تَعْرِض له، حتى يجد الحلَّ الذي يتمَشَّى مع الفطرة السليمة، والعقل الصحيح، دون أن يُفرض عليه بالقوة[٧]، أو يكون مجرد تقليد أعمى لغيره.

وذلك لأن التقليد لا يخلق في الإنسان تلك الحركةَ، والتفاعُل، والطاقاتِ التي توجد عند مَن يؤمن بالشيء عن طريق العقل والاقتناع، وأوضح دليل على ذلك: ما نلمسه هذه الأيام مِن تحوُّلٍ في أداء كثير من المسلمين للعبادات؛ حيث أصبحوا يؤدُّونها كمُجرد طقوس وعادات، أكثر من أن تكون رُوحًا وإشْراقًا وصعودًا في معارج الترقِّي، ومواصلة التقرُّب إلى الله تعالى[٨]؛ كما كان أداؤُها كذلك عند السَّلَف الصالح، وما الفرْق بين السلَف والخلَف في ذلك إلا أن إيمان الأَوَّلين كان نتيجةَ اقتناع حقيقي، أما إيمان أكثر الخلَف اليوم، فهو - للأسف - إيمان تقليدي.

وفي ضوء ما سبق، ينبغي على المربِّين اليوم أن يهتموا بالحوار مع أطفالهم؛ لأنَّ الحوار الهادئ ينمِّي عقل الطفل، ويوسِّع مداركه، ويزيد من نشاطه في الكَشْف عن حقائق الأمور، ومجريات الحوادث والأيام، وإن تدريب الطِّفل على المناقشة والحوار يقفز بالوالدَيْن إلى قمَّة التربية والبناء؛ إذ عندها يستطيع الطفلُ أن يعبِّرَ عن خُفُوقه، وبإمكانه أن يسأل عن مجاهيلَ لم يدْركها؛ وبالتالي تحدث الانطلاقة الفكرية له، فيغدو في مجالس الكبار، فإذا لوجوده أثر، وإذا لآرائه الفكرية صَدًى في نفوس الكبار؛ لأنه تدرَّب في بيته مع والديه على الحوار، وأدبه، وطرقه، وأساليبه... واكتسب خبرة الحوار من والديه[٩].

ومما لا شك فيه أنَّ أُسلوب الحوار من الأساليب المحبَّبة في التدريس؛ فبه تثبت المعلومات، وترسخ المفاهيم؛ للأسباب التالية:

أولاً: أن الحوار يُعطي الموضوع حيوية؛ مما لا يدَع مجالاً للمَلَل، بل يدفع الطالبَ إلى الاهتمام والتتبُّع.

ثانيًا: أن الحوار يوقظ العواطف والانفعالات؛ مما يساعد في تربيتها وتوجيهها نحو المَثَل الأعلى، كما يساعد على تأصيل الفكرة في النفْس وتعْميقها.

ثالثًا: أنه عن طريق الحوار يُمكن عرْض الحجج عرْضًا فكريًّا، يُمكن من خلاله دحْض الحجج الباطلة، وإظهار الحقيقة ببراهينها.

رابعًا: أن الحوار يُعطي فرصة للطالب في الأخْذ والرَّد، وإثبات الحقائق، وتجلية الشبهات، كما يُعطيه فرصة في معرفة الحقائق، والاستفسار عنها، وإمكانية ترديدها.

وبهذه الأمور يستطيع الطالبُ أن يكتسبَ كمًّا كبيرًا من المعلومات والمعارف، التي تساعده في الحصول على مستوى أعلى بين زملائه[١٠].

وبالتربية عن طريق العقل والإقناع - أيضًا - يستطيع المربّي والمعلِّم أن يرسخَ في نفس الناشئ والمتعلم الإيمانَ بالله تعالى؛ وذلك بأن يوجِّه المربّي نظر من يُربِّيهم إلى الحقائق الكونية، ودلائل قدرة الله - تعالى - الظاهرة في الأنفس، والمأكولات، والحيوانات... إلخ، ويُريهم ما في ذلك كلِّه من دلالات على صناعة الصانع الحكيم؛ ليزيد إيمانهم كلما رأوا آية تدل على وجود الله المبدع الكريم، وذلك حسب نمو مداركهم، ومستوى ثقافتهم وتعليمهم؛ وذلك وفقًا لتوجيهات نظريَّة التربية والتعليم في الإسلام، التي تدعو إلى دراسة الحقائق من ناحيتَيْن: دراستها من حيث هي حقائقُ، ودراستها من حيث دلالتُها على الصُّنع والإبداع والتَّجميل[١١].

ويُمكن الاستعانة في ذلك بما تقدِّمه العلوم الحديثة منَ اكتشافات عظيمة، تؤكِّد قدرةَ الخالق سبحانه؛ حيث كان للاكتشافات المذْهلة في العُقُود الأخيرة من هذا القرن دورٌ بارز في تأسيس انتصارات علمية فكرية لصالح الإيمان؛ ولذا جاءت الدعوةُ إليه على ألسنة علماء الفيزياء والكيمياء والفضاء، الذين أخرجوا لنا الكتابين المشهورين: "الله يتجلَّى في عصر العلم"، و"العلم يدعو إلى الإيمان"؛ لكربيس موريس.

كما أنَّ علمَ الطب قدَّمَ لنا دراساتٍ علمية، وكشوفًا مهمة، لها من القيمة الطبيَّة والعلميَّة الأهميَّة البالغة، ثم كان لها الأَثَر البارِز على قضية الإيمان[١٢].

تاسعا : أسلوب الإقناع العقلي :

يعتبر الإقناع من أهم أساليب التربية الإسلامية ، وهو من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، "فقد دعا الإسلام إلى استعمال العقل والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء والتمييز بين

الصواب والخطأ والحسن والقبيح ، والحق والباطل ، بالحجة والبرهان والاقتناع ، وليس بالتقليد الأعمى أو بالقسر والإكراه "

ولقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الإقناع العقلي في أكثر من مناسبة ومنها مثلاً :

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : م همه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنه ، فدنا منه قريباً قال: فجلس ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : و لا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال: أتحبه لأبنتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال : أتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونهم لأخواتهم ، قال : أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال : أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وأحصن فرجه فلم يكن الفتى يلتفت إلى شيء .

إن هذا الشاب قد جاء والغريزة تتوقد في نفسه ، مما يدفعه إلى أن يكسر حاجز الحياء ، ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم علناً أمام أصحابه ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم المربي المعلم لديه جانباً لم يدركه فيه أصحابه فما هو ؟

لقد جاء هذا الشاب يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان قليل الورع عديم الديانة لم ير أنه بحاجة للاستئذان بل كان يمارس ما يريد سراً ، فأدرك صلى الله عليه وسلم هذا الجانب الخير فيه ، فماذا كانت النتيجة : (فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) .

أهمية أسلوب الإقناع في تنمية القيم :

إن أسلوب الإقناع العقلي من الأساليب التي لو طبقت في الواقع مع الشباب المسلم لأدت إلى نتائج حية وملموسة ، تظهر آثارهـا على محياهم ، فقد حث القـرآن الكريم على إقنـاع الناس بالحسنى ، فقـــال تعـالى : { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن }

ولذا يتضح جلياً أهمية الإقناع العقلي للشباب المسلم ، بما يسهم في تربيتهم وتنمية القيم لديهم ، وأن لا تقتصر التربية فقط على مجرد سرد للحقائق بدون مناقشة لها ، وبدون إعطاء حرية التعبير ، وإبداء الرأي من الطرف المقابل ، حتى لو كان صغير السن ، فبدون القناعة الشخصية ، لن نصل إلى حلول مع أبنائنا ، وأسوتنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العاشر : أسلوب المنافسة :

يقول الجوهري : " نافس في الشيء منافسة ونفاساً ، إذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم ، وتنافسوا فيه أي رغبوا " .

ويعرفها دسوقي بأنها : " مجاهدة الفرد للانتصار على غيره من الأشخاص الذين يسعون أيضاً للانتصار ، وهو لا ينطوي على معاداة شخصية فقط بل رغبة ودية وموازية للإجادة "

هذا ويعتبر أسلوب المنافسة من أساليب التربية الإسلامية الأصيلة يؤكد ذلك قوله تعالى : {ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}.

ويقول الجزائري في تفسير هذه الآية : " قوله تعالى {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} أي وفي مثل هذا النعيم لا غيره من حطام الدنيا وشرابها وملكها الزائل يجب أن يتنافس المتنافسون أي في طلبه بالإيمان وصالح الأعمال بعد البعد كل البعد عن الشرك وسيء الأقوال وقبيح الأفعال "

كما يذكر القرآن الكريم (التنافس) بألفاظ أخرى كلفظ (المسابقة) كما في قوله تعالى : {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

هذا وتزخر كتب السنة النبوية بالكثير من الروايات الصحيحة التي تبين حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على حث أصحابه على التنافس في أمور الخير والمسارعة إليها ومن ذلك :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا حسد إلا على اثنتين ، رجل أتاه الله الكتاب وقام به أناء الليل ، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار".

وقد كنى الرسول صلى الله عليه وسلم المنافسة في هذا الحديث بالحسد المحمود والذي يقصد به (الغبطة). ومما سبق يتبين أن أسلوب المنافسة من الأساليب التي يجب على المربين ممارستها في جميع الأمور لتحفيز وترغيب المسلم في طلب معالي الأمور والمسارعة إلى الفوز بها سواء كانت دينية أو دنيوية .

التربية عن طريق الالتزام بالعادات الإيجابية

العادة تعني: "تكْرير فعل الشَّيء الواحد مرارًا كثيرة، زمنًا طويلاً، في أوْقات متقاربة"[١]؛ ولهذا قيل: "العادة طبع ثانٍ"؛ وذلك لأنَّها تشبه الطَّبع الأوَّل - وهو الخُلُق الطَّبيعي - في شدَّة ثباتِها ورسوخها في النَّفس.

والإنسان عبارةٌ عن مجموعة من العادات، تكيِّف سلوكَه تجاه الحوادث والوقائع، وتساعده على مواجهة متطلَّبات الحياة، وسدِّ حاجاته، وتعزيز فطرتِه، وهو ما يدل على الدَّور الهامِّ الذي تلعبه العادة في حياة الإنسان، فحين ينشأ الإنسانُ على العادات الحسَنة يدل ذلك على تكيُّفه وصحَّته النفسيَّة، ويؤهِّله ذلك للحصول على مكانة اجتماعيَّة راقية في المجتمَع، تُشْعِره باحترِام ذاته داخل الهيْئة الاجتماعيَّة الَّتي ينتسب إليْها؛ ومن هنا تَظْهر أهمِّيَّة تربية العادات الحسنة لدى النَّاشئة في مرحلَتَي الطُّفولة والصبا؛ ليكون ذلك عونًا لهم بعد ذلك في مسيرة حياتِهم .

لهذا نجِد الرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يَحرص على استِخْدام أسلوب التَّربية عن طريق العادات الصَّالِحة منذ الصِّغر؛ حتَّى ينشأ النَّشْء عليْها، وتلازمهم عند شبابِهم وشيخوختِهم، وفي نفْس الأمر لا تكلِّف شيئًا إلاَّ التَّوجيه السليم؛ فمَن شبَّ على شيءٍ شاب عليْه، ويدلُّ على ذلك ما رواه عمر بن أبي سلمة - رضِي الله عنْهما - قال: كنت غلامًا في حِجْر رسولِ الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - وكانت يدِي تَطيش في الصَّحْفَة، فقال لي رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم -: "يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينِك، وكل ممَّا يليك" .

فالرسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - هنا قد عمَد إلى تغْيير العادة السَّيئة الَّتي اتَّبعها هذا الطِّفْل في الأكل، وأحلَّ محلَّها عادة إيجابيَّة، وهذا هو منهج الإسْلام في التَّربية بالعادة، حيث يستبدل العاداتِ الحسنةَ بالسيِّئة.

ولهذا الاستِبدال طريقان:

أحدهما: طريق الحَسْم والإزالة، إذا كانت العادة تتَّصل بأصل التصوُّر والعقيدة والارتِباط المباشر، فإنَّ الإسلام يقطع هذه العادة قطعًا مباشرًا؛ لأنَّها كالورم الخبيث، لا بدَّ من أن يُجتثَّ ويُسْتأصل من جذوره؛ لأنَّه يتعارض مع الحياة النفسيَّة، ومثال ذلك: موقف الإسلام من عبادة الأوْثان، والكذب، والكِبْر... إلخ.

ثانيًا: التدرُّج البطيء، وذلك في العادات الاجتماعيَّة الَّتي لا تقوم على مشاعِر الفرد وحدها، بل ترتبِط بأحوال اجتماعيَّة واقتصاديَّة متشابكة، ومثال ذلك: موقف الإسْلام من الخمر، والربا، والرق ... إلخ.

وتغْيير العادات السلبيَّة يحتاج من المرْء إلى عزيمة ماضية قويَّة، لا تسمح بأي استثناءات أو عوارض، تتخلَّل ما عزم عليه الإنسان من ترْك العادة السيئة، وإحلال العادة الحسنة محلَّها، فمثلاً إذا عزم المرء على ترْك عادة التَّدخين، فيجِب عليْه ألاَّ يسمح لنفسِه ألبتَّة بتناوُل - ولو نفَسًا واحدًا - من الدخان، وكذلك إذا كان متواكِلاً أو متكاسِلاً، فلا يسمح لنفسِه بتأْجيل عملِه عن وقْتِه مهْما كانت الظُّروف؛ لأنَّه لو سمح لنفسِه بشيء من هذه الاستِثناءات، كان ذلك بمثابة الصَّدع في البنيان، فإنه لا يلبث بعده أن ينهدِم .

وحتى تتمَّ التربية بالعادة - أيضًا - فإنَّه لا بدَّ من تعاوُن جميع الأجهزة في ذلك، صغيرها وكبيرها: من الأسرة، والمؤسَّسات التعليميَّة، والثَّقافة الجماهيريَّة بأنواعها، وأنظِمة الحكم؛ وذلك بتهْيئة الظروف للعادات الحسنة لتحلَّ محلَّ العادات السيِّئة؛ لأنَّ كثيرًا من النَّاشئة والشباب يعترف بخطئِه، وبارتِكابه للعادات السيِّئة؛ إلاَّ أنَّ وجود المناخ السيِّئ وإتاحة الفرصة لها يجذبه نحوها، ويجعلها تُلازِمُه وتعترض تفكيرَه .

وسائط التربية الاسلامية

و نعني بها الوسائل المعنوية و الوظائف و المؤسسات لتحقيق الأهداف المذكورة. من أهمها في المشروع الإسلامي :

أولا : الأسرة - الدور التربوي للأسرة :

١. من الأمور التربوية الهامة التي ينبغي على الوالدين مراعاتها ؛ حسن اختيار الاسم لولدهما ، فإن لكل شخص من اسمه نصيب ولا شك أن الاسم الحسن يؤثر في نفسية صاحبه خاصة عندما يكبر ويناديه به الناس .

٢- من واجب الأسرة عدم التفريق بين الأبناء بشكل عام وبين الذكور والإناث بشكل خاص ،ومن الأخطاء القاتلة التي يقع فيها بعض الآباء التمييز بين الأبناء في العطايا والهدايا ، مما يثير الحقد والكراهية بينهم بدلا من أن يسود جو الأسرة جو الود المحبة والإخاء ، ومن أسوء الأخطاء فرح الآباء لولادة الذكر وحزنهم لولادة الأنثى ، قال تعالى :" وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ساء ما يحكمون"

لقد أوجب الله عز وجل على الوالدين المساواة بين أبنائهم الذكور والإناث ،إلا فيما حدد من قضايا خاصة كالميراث لأسباب وجيهة ذكرت في كتب الفقه والتفسير ، بل لقد وضح رسول الله أهمية وضرورة العناية بالإناث وتربيتهن . قال رسول الله : " من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنّ له سترا من النار "( )

٣- إيجاد القدوة الصالحة للأبناء :

ينظر الطفل حوله فيرى والديه وإخوته وأخواته ممن هم أكبر منه سنا ، فيندفع فطريا يقلدهم في سلوكهم وأفعالهم ، فعلى الأسرة أن تجعل من نفسها نموذجا يحتذى به الطفل ، قال رسول الله " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ".( )

٤- مساعدة الأبناء في اختيار أصدقائهم ، لأن الأصدقاء يلعبون دورا هاما في سلوك الفرد ، قال تعالى :" الأخلاء بعضهم يومئذ لبعض عدو إلا المتقين".

٥- تربية الأولاد على احترام الكبار والعلماء وأهل الفضل ، واحترام الوالدين لأن الابن إذا فقد احترام والديه فإنه يفتقد كل معاني التربية التي تلقاها منهم، قال تعالى :"ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ."

٦- الفصل بين الجنسين خاصة عند وصول الأطفال إلى سن التمييز ، بحيث يمنع نومهم مع بعضهم بعضا ، حيث أن اختلاط الأولاد الذكور بالإناث والاعتياد عليه يضعف فيهم الشهامة والنخوة ، ويغرس فيهم الميوعة والانحلال، فيفتقدون على مر الأيام رجولتهم .

٧- الواقعية في تربية الأولاد : على الأسرة أن تعلم أن كل مرحلة يمر بها الناشئ لها متطلباتها واحتياجاتها و أن للناشئ قدراته التي لا يستطيع أن يتجاوزها، وليس من الحكمة ولا من المنطق أن نكلفه ما لا يطيق ، وقال تعالى: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ."

ثانيا :المسجد ودوره التربوي

قال تعالى :" إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نُزُلا كلما غدا أو راح " . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"من تطهر في بيته ،ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضي فريضة من فرائض الله ،كانت خطواته ، إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة" .

ومما لا يخفى على أحد أن المسجد من أهم الدعائم التي قام عليها تكوين الفرد المسلم ، وبناء المجتمع المسلم عبر التاريخ الطويل ، فالمسلم يتربى في المسجد روحيا وإيمانيا وخلقيا واجتماعيا ، فيتعلم أحكام الدين وتنظيم الدنيا ، ويتعلم القرآن الكريم ويفهم لطائف التفسير ويعرف الحلال والحرام .

ويمكن تلخيص أهم الوظائف التي يقوم بها المسجد بما يلي :

١. المساجد دور للعبادة والصلاة .

٢. أنها مراكز تربوية ثقافية هامة تعقد بها حلقات العلماء لدراسة القرآن الكريم والفقه والحديث الشريف واللغة والتفسير ...

٣. قامت المساجد لفترات طويلة بدور المدارس .

٤. كانت المساجد مركزا للفتوى والقضاء وفض المنازعات بين الناس .

٥. عملت المساجد مركزا لإدارة الدولة ، فقد ثبت أن رسول الله كان يستقبل السفراء ويدير شؤون الدولة من المسجد .

٦. كانت المساجد منبرا إعلاميا هاما ، فكان رسول الله إذا أراد شيئا دعا الناس إلى المسجد ، حيث يأمر المنادي فيقول : الصلاة جامعة ، الصلاة جامعة

٧. استخدمت المساجد كقواعد لانطلاق الجيوش وعقد رايات الحرب ، وكانت منطلقا لحركات التحرر ، وتحرير الأمم والأوطان من عبودية البشر والطواغيت .

المساجد في أيامنا الحاضرة

مما يؤسف له أن المسجد هذه الأيام لم يعد يقوم بنفس الدور الذي كان يقوم به زمن السلف الصالح ، ويرى الباحث أن أهم أسباب انحسار دور المسجد يتمثل في الأمور التالية :

١. ضعف الدور السياسي للدين الإسلامي نفسه ، حيث أُبعِدَ عن الحياة السياسية ولم يعد للدولة الإسلامية التي تقوم على مبادئ الإسلام الصحيح وجود في حياد الناس .

٢. وجود مؤسسات بديلة تقوم بالدور الذي كان يقوم به المسجد سابقا :

أ. وجود المدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى كالكليات والجامعات ألغى دور المسجد التعليمي.

ب. وجود المؤسسات والوزارات الاجتماعية الأخرى قلّص دور المسجد الاجتماعي .

ج. وجود مؤسسات خاصة بالقضاء والدفاع ألغى الدور القيادي للمسجد في حل المشكلات وفض المنازعات والخصومات بين الناس .

د. وجود وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وتلفزة ألغى الدور الإعلامي للمسجد .

٣. الإشراف الحكومي المطلق على المساجد وضع قيودا عليها ، حيث تم تحديد أوقات خاصة لفتحها وغلقها ، فلا تفتح إلا قبل الصلاة بقليل وتغلق بعد انتهاء الصلاة مباشرة.

٤. وضع قوانين صارمة من قبل بعض الحكومات تجاه المساجد ومن يستخدمها ويدرس فيها بحجة المحافظة عليها ، الأمر الذي جعل الناس ينظرون إليها على أنها مؤسسات حكومية وليست بيوتا لله عز وجل.

٥. قصر مهمة المسجد على الصلاة والعبادة والوعظ والإرشاد من قبل أُناس في كثير من الأحيان هدفهم الوظيفة والناحية المادية مما ينفر الناس منهم وتنفيرهم بالتالي من المساجد بشكل عام للأسف .

٦. عدم اهتمام الأجهزة الرسمية المشرفة على المساجد بتدريب وإعداد الموظفين المشرفين والمسؤولين عن المساجد حيث أن بعضهم أُمّيّ لا يقرأ ولا يكتب وبعضهم يجهل أحكام الدين وفقه العبادات ، حتى أن بعض المؤذنين وللأسف لا يتقن الأذان ، وبعض الأئمة لا يتقن تلاوة القرآن الكريم ، الأمر الذي ينفر الناس ويجعل كثيرا من العامة يحجم عن صلاة الجماعة .

ولكن والحق يقال أن المسجد مهما حاول بعض الناس تعطيل مهمته وحصر رسالته ،تبقى له رسالته التي يتمسك المسلمون بها، حيث نرى إقبال الناس على المساجد يزداد يوما بعد يوم ، خاصة من الشباب ، فنجد الصفوف مزدحمة ، وبناء المساجد يزداد على الرغم من عدم اهتمام

الحكومات والمؤسسات الرسمية بذلك ، لقد يسر الله عز وجل لبيوته من يقوم على إعمارها عمارة مادية بالبناء والتشييد ، وعمارة معنوية بالعبادة ، بل إن هناك تنافسا شديدا بين المسلمين على عمارة المساجد وبنائها .

ثالثا :المدرسة ودورها التربوي

الأدوار التربوية التي تقوم بها المدرسة الحديثة

١. تنمية شخصية الطفل من جميع جوانبها ، الجسدية ، والعقلية ، والفكرية، والاجتماعية ، والعقائدية ، والنفسية .

٢. نقل التراث الثقافي الذي تجمع عبر العصور في الصدور والسجلات والوثائق والموسوعات والاحتفاظ به وتصفيته من كل ما تعلق به من شوائب، وفساد،

ودرن ، والعمل على تسجيل كل جديد ونقله من جيل إلى جيل( ) .

٣. تربية الأجيال على السلوك والقيم الاجتماعية ، حيث توجه النشء من خلال برامجها

ونشاطاتها إلى ضرورة التزام المتعلم بالسلوك السليم وإتباع القيم الصحيحة والابتعاد عن الانحراف والشذوذ .

٤. غرس معاني الأخوة والمحبة والتآلف والتعاون من خلال دمج الطلاب في أنشطة تعليمية تتيح للطلبة التفاعل فيما بينهم ، كما أن وجود الطلاب مع بعضهم لفترات طويلة في المدرسة يؤدي إلى إيجاد جو من المودة والمحبة .

٥. إكمال مهمة البيت التربوية ، فالطفل يُسَلّم للمدرسة في سن السادسة أو السابعة ليقضي فيها وقتا طويلا ، ومهمة المدرسة هنا متابعة القضايا التربوية التي بدأها الوالدان في البيت .

٦. غرس القيم الدينية والتربوية النابعة من الدين الحنيف ، من خلال ما تقدمه المدرسة من برامج تعليمية و أنشطة لا صفية ، وإيجاد القدوة الصالحة للمتعلمين من إدارة مدرسية مسؤولة ، وهيئة تدريسية من المعلمين .

٧. العمل على توفير بيئة اجتماعية أكثر توازنا من البيئة الخارجية ، باعتبار أن المدرسة مجتمع محدد محكوم بسياسة محددة ضمن أنظمة وقوانين من الضبط والربط ، والمواعيد الدقيقة ، بما يؤثر في تنشئة وتكوين شخصية الأفراد تكوينا اجتماعيا ونفسيا يرضى عنه المجتمع .

العلاقة بين البيت والمدرسة

العلاقة بين البيت والمدرسة وثيقة جدا ، فكل منهما يكمل الدور التربوي للآخر ، ولا بد من التعاون بينهما حتى تتحقق الأهداف التربوية ، وقد عبر الزرنوجي عن طبيعة العلاقة بين البيت والمدرسة في كتابه تعليم المتعلم وطرق التعلم بقوله " يُحتاج في التعليم إلى جِدّ ثلاثة : المتعلم ، الأستاذ ، والأب "( )

وقد ورد في كتاب (الإرشاد والتعليم) لبعض علماء الصوفية( ) : "والطفل صورة عائلته ، فكل ما فيها من خير أو شر ، وكل ما سمعه ورآه ينطبع فيه ، ولهذا كان جهد الأمهات من أهم الأمور في تربية الأبناء ، ومن ربّى ماله ولم يرب ولده فقد ضيّع الولد والثروة ، وتربية الفضائل لا يمكن أن تكتسب في المدارس بل يجب ممارستها مع الطفل من يوم يعي الخطاب ويفهم الكلام ، وأول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة طبعا الذين يعاشرون الطفل معاشرة مستمرة هم الوالدان ."

ومن هنا يستنتج الباحث أن العلاقة بين البيت والمدرسة يجب أن تقوم على الوضوح والتفاهم من أول يوم يذهب فيه الطفل إلى المدرسة ويبدأ التعامل بين البيت والمدرسة .

ومن أهم أساليب التعاون بين البيت والمدرسة متابعة الجوانب التالية :

١. صقل سلوكيات المتعلم بحيث تعزز السلوكيات الإيجابية وتعدل السلوكيات السلبية،ولا يكتمل هذا الدور إلا من خلال التعاون الإيجابي بين البيت والمدرسة.

٢. المتابعة المستمرة من قبل أولياء الأمور لأبنائهم للوقوف على مستواهم التحصيلي، والتعاون مع الهيئة التدريسية للمدرسة من أهم العوامل المؤثرة في تحسين المستوى التحصيلي للمتعلم .

٣. من واجب الوالدين تهيئة الجو المناسب في البيت ليتمكن المتعلم من المذاكرة وحل الواجبات المنزلية والاستعداد لليوم الدراسي في اليوم التالي٠

٤. على ولي الأمر أن يتابع التقارير والشهادات التي ترسلها المدرسة، ويضع ملاحظاته عليها ، وعليه أن يتصل بالمدرسة وأن يزورها ليطلع عن كثب على أحوال ولده ويجتمع مع الهيئة الإدارية والتدريسية ويستمع منهم مباشرة عن أحوال ولده .

٥. على أولياء أمور المتعلمين المساهمة الفعالة في إنجاح كل الأنشطة التي تخطط لها المدرسة، وتشجيع أبنائهم للمشاركة فيها ، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية عند الطلب ٠

وهكذا لابد من تعاون البيت والمدرسة معا لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية التي يسعى إليها الجميع ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن يتخلى البيت عن مسؤوليته التربوية بحجة أن المدرسة تتولى هذه المسؤولية ، للأسف أن بعض الآباء لا يعرف عن ابنه شيئا منذ دخوله المدرسة، فلا يعرف صفه ، أو مستواه السلوكي أو التحصيلي ، وفي المقابل يطلب من المدرسة أن تكثر من

الاتصال بالآباء والأمهات وإخبارهم عن أحوال أولادهم ، سواء من الناحية السلوكية أو التحصيلية ، كما أنها مطالبة بدعوتهم لزيارتها ، وعليها أن تحسن استقبالهم عندما يلبون طلبها .

المجتمع ودوره التربوي :

يلعب المجتمع دورا هاما قي تربية الفرد حيث أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش منعزلا عن الناس ، بل يحتاج إلى التفاعل معهم والإفادة منهم وإفادتهم ، وبالتالي فإن الفرد يتأثر بما يدور حوله . وعلى هذا فإن للمجتمع دورا تربويا مهما يتمثل في الأمور التالية :-

١. تربية الناشئين وصون فطرتهم الطاهرة من الدنس وارتكاب الأخطاء حيث إن من واجب الراشدين أن يغرسوا معاني الإيمان في قلوب الناشئين بشتى المناسبات وعليهم أن يلفتوا نظرهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون الدالة على قدرة الله عز وجل.

٢. الضغط الاجتماعي الواعي المقصود الذي يؤدي إلى ردع المخطئ والمسيء وإعادته إلى الحق والصواب ، فهذا رسول الله يأمر بمقاطعة المتخلفين عن غزوة تبوك ، فكانت الاستجابة من الناس جميعا، الأمر الذي أدى إلى عودة المتخلفين إلى صوابهم وإظهار الندم على ما حصل منهم ، بل لقد رفضوا المغريات التي جاءتهم ، كما حصل مع كعب بن مالك رضي الله عنه عندما جاءته رسالة ملك الروم ونذكر هنا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله إن لي جارا يؤذيني . فقال :" انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق "فانطَلَقَ فأخرج متاعه ، فاجتمع الناس عليه فقالوا : - ما شأنك ؟- قال لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي فقال لي :" انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق" فجعلوا يقولون " اللهم العنه ، اللهم اخزه " فبلغه ، فأتاه فقال : ارجع إلى منزلك فوالله لا أوذيك "((

هكذا أثر المجتمع في أفراده ورد المعتدي وأعطى صاحب الحق حقه .

٣. من مهام المجتمع التربوية توجيه الناشئة إلى وحدة الأمة وتعاونهم واعتبارالمجتمع المسلم وحدة واحدة يتمثل فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " . وقال الله عز وجل " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" .

٤. من واجبات المجتمع تربية الناشئة على الحب في الله حيث أن التربية العاطفية مهمة جدا في حياة الفرد ، فعلى القائمين على التربية من الراشدين غرس هذه القيمة العاطفية في نفوس الناشئة ، فالمؤمن يحب كل من يشاركه الولاء لله عز وجل ، ومحبة الله وطاعنه ، والانقياد لشريعته والاعتزاز بالسير تحت لوائه. ومن معاني الحب في الله أن يحب الفرد وطنه ويدافع عنه ، ويجاهد في سبيله فهذا رسول الله عندما خرج من مكة مهاجراً نظر إلى مكة و الدموع تملأ

عينيه وودعها ،عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"اللهم إنّك أخرجتني من أحب البلاد إليّ فأسكنّي أحب البلاد إليك ، فأسكنه الله المدينة" .

٥. المجتمع القائم على المبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة ينشئ الإنسان الصالح الملتزم بكل معاني الإنسانية الصالحة ، ولقد تعودت المجتمعات على إنشاء المواطن الصالح ، والمواطنة الصالحة مصطلح غير محدد ، ويوجه إليه انتقاد حاد ؛ حيث إن المواطنة الصالحة خاصة بوطن معين دون أن يراعي هذا المواطن الصالح حقوق الأوطان والناس في المجمعات والأوطان الأخرى ، بينما التربية الإسلامية تنشئ الإنسان الصالح أينما كان وحيثما حل ، في وطنه أو في أي بلد آخر يذهب إليه ، ولم تعرف الدنيا على مر العصور مثل المسلمين قادة وفاتحين نشروا العدل والأمن والنور في كل بقاع الأرض التي وصلوا إليها ، قال الله تعالى:" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "بينما رأى الناس همجية الدول التي تدعي الحضارة والرقي في استعمارها البغيض وتسلطها ، فقتلت العباد ونهبت البلاد واستعبدت الشعوب وجعلتهم نهبا للجهل والمرض ومنعت عنهم سبل الحضارة والرقي ،وسرقت أموالهم وتراثهم وحضارتهم ، وبذل الناس أصحاب البلاد المُستعمَرة أرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون للتخلص منهم ، ولا يذكرون لهم بعد خروجهم إلا الآلام والمآسي ، بينما دخل الناس في الإسلام الذي حمله الفاتحون المسلمين أفواجا ولم يحصل أن قام شعب أو أمة من التي فتحها المسلمون بثورة أو حرب ضدهم .

- المربي المسلم الناجح ودوره التربوي ؛

كما كانت وظيفة النبي "ص"، فإن أسمى وظيفة للمربي المسلم تتمثل في التزكية أي تنمية النفس و تطهيرها و السمو بها نحو الكمال الإلهي عن الشر و السوء. و تعليم الناس صغارا و كبارا ما ينفعهم. و لتحقيق هذه الوظيفة لا بد للمربي المسلم، أبا كان أو معلما أو داعية، أن يتوفر على قدر كاف من هذه المقاصد و في صلبها الأخلاق الفاضلة، نذكر منها الإخلاص و العبر و الصدق و المثابرة فضلا عن الكفاءة و الدراية و الاقتدار و المصداقية.

صفات المربّي الناجح، وما يجب عليه أن يتحلَّى به، وما يجب عليه أن يتخلى عنه، ومن تلك الصفات:

١ – القدوة:

وهي عُمدة الصفات كلِّها؛ بل تَنبني عليها جميعُ صِفات المُربّي، فيكون قدوةً في سُلوكه، قدوةً في مَلْبَسِه، قدوة في حديثه، قدوة في عبادته، قدوة في أخلاقه وآدابه، قدوة في حياته كلها.

ولقد سَبَقَ أنْ تَحَدَّثْنَا فِي الجُزْءِ الأوَّل عن ذلك تحت عنوان (الاستنساخ)، وقلنا إن الطفل إذا ما افتقد القُدوة فيمَنْ يُرَبّيهِ، فسوف يفتَقِدُ إلى كلِّ شيء، ولن يُفلِح معه وَعْظ، ولا عقاب، ولا ثواب،

كيف لا وقد رأى الكبير يفْعَلُ ما يَنهاهُ عنه؟! وقلنا كذلك إنَّ عَيْنَ الطفل لكَ كالميكروسكوب ترى فيه الشيء الصغير واضحًا تمامًا، فالنظرة الحرام التي تختلسها، والكلمة القصيرة السريعة الَّتي تنطِقُ بِها وغيرُها، يستقبلها الصغير فيُخَزّنها، ويفعل مثلها إن لم يكن أسوأَ، ولا تستطيع أن تنهاه، وإلا قال لك: أنتَ فَعَلْتَ ذلِك، وأنا أفْعَلُ مِثْلَك!! طبعًا هو لا يعانِد – غالبًا – في مثل هذه المواقف؛ ولكنه يُقلِّدُكَ، فأنت الكبير وهو يُحِبّكَ، ويحب أن يفعل مثلما تفعل ليتشبَّهَ بكَ.

فإن غضبتَ فشتمتَ فإنَّه سيشتُمُ عندما يغضَب، وإن طلبت منه شراء الدخان أو رَمْيَ باقي السيجارة، فسيشرب منها بعد ذلك ولو خِلْسَةً؛ حتَّى يتمكَّن مِن شُرْبِها بِحُرِّيَّة في أقربِ فرصة، فَهُو يُقَلِّدك وأنت الكبير، وإن خرجتِ الأمُّ مُتَبرِّجَةً فلن تستطيعَ إقناعَ ابْنَتِها بعد ذلك بارْتِداء الحجاب، وإن نادى المؤذِّن للصلاة وصلَّيْتَ في البيت فسيصلي في البيت، وإن ذهبت إلى المسجد فسوف يُحِبُّ الذَّهاب إلى المسجد، وإن غَفَلْتَ عنِ الصلاة ساهيًا أو عامدًا فسوف يقلِّدُكَ؛ فأنت القدوة.

وهكذا إن طلبت منه أن يخبِرَكَ بسِرِّ أحد، أو لعبت أمامه بدون حذاء أو بغير الملابس الرياضية، وكذا إن رآك (تُبَحْلِقُ) في صور العاريات، أو فِي الفيديو، أوِ التليفزيون، أو عاكستَ أحدًا في الهاتف... إلخ.

٢ – حسن الصلة بالله:

وهي منَ الصفات التي لا غنى للمربي عنها، وقد كنا نقصر في صلتنا بالله، فلا نرى قلوبًا مفتوحة لنا، ولا آذانًا صاغيةً، تَستَقْبِلُ بِحُبّ ما نقولُه وما نفعلُه، والعكس عندما كنا نحسن الصلة بالله، فكان الله - عز وجل - يُبارِكُ في القليل، فيستجيب الصغار لنا أسرعَ مِمَّا نتخيَّل، يُصَلُّون، ويُذَاكِرون، ويحفظون القرآن الكريم، ويظهَرُ مِنْهُم حُسن خلق أثناء اللعب، وأثناء الفسح.

إن الصلاة في جماعة، خاصة صلاةَ الفجر، والمداومة على ورد القرآن، وأذكار الصباح، وأذكار المساء، وكثرة الاستغفار، والبُعْد عن المحرَّمات والشُّبُهات، خاصَّةً غضَّ البَصَر، والوَرَع لَفِيهَا جميعًا الخيرُ والبركة في هذا المجال، فإرضاءُ الله غايةٌ، ما مِن أحد إلاَّ ويتمنَّاها ويسعى إليها؛ لِينالَ الجنَّة في الآخرة والسعادة في الدنيا، ومَن أسعد في الدنيا مِن رجل له أبناء صالحون، يحسن تربيتهم فينالُ مِنْهُم برًّا ودعوةً صالحةً، نسأل الله ألا يَحْرِمَنا من هذه النعمة العظيمة.

٣ – نفس عظيمة وهِمَّة عالية:

المُربي لا بد أن يكون عظيمَ النَّفس، هِمَّتُه عالية، وإرادته قوية، ونَفَسُه طويل، لا يطلب سفاسفَ الأُمُورِ، يعلم أن تربية الأولاد في الإسلام فنٌّ له عقبات؛ كما له حلاوة، وأجر عظيم. لذلك يسعى جاهدًا أن يجعلها لِلَّه، ويُضَحّي من أجلها بِراحَتِه وبماله، وبكل شيء عنده، ويصل طموحه به إلى أن يتمنَّى أن يكون ابنه؛ كمُحَمَّد الفاتح، الَّذي علَّمه شيخُه وهو صغير أنَّ القسطنطينية سيفْتَحُها الله على يد أمير مسلم، يرجو أن يكون هو، فقد قال عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فَلَنِعْمَ

الأميرُ أميرُها، ولنِعْمَ الجيشُ ذلك الجيش" ، ومن نماذج المربين وأصحاب الهمم والطموحات الكثير والكثير.

٤ ــ يألف ويؤلف:

نعم مِن صفات المُرَبِّي أن يألف ويؤلف، يألف الصغار ويحبهم، ولا يأنف الجلوس معهم، يتبسط في حديثه ويتواضع، يمزح ويلعب، يلين ولا يشتد، يعطي كثيرًا بلا مقابل، ولا تفارقه الابتسامة، وكذلك يُؤْلَف عند الصغار، وإلا فلا يتصدَّى للتعليم ولا التربية، فهي مهمة ليس هو أهلاً لها، إذ إنه دائمُ التجهُّم، شديد، عنيف، لا تعرف الرحمة طريقًا إلى قلبه، فويل لأبنائه منه تمامًا؛ كمن قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إنَّ لي عَشْرَةً منَ الولد ما قَبَّلْتُ منهم أحدًا"، فقال له الحبيب المُرَبّي - صلى الله عليه وسلم -: " مَن لا يَرحم لا يُرْحَم" ، وعمر بن الخطاب عَزَل مثل ذلك الرجل عن ولاية المسلمين، فمن لا يألفه أبناؤه، لا يألفه المسلمون، وهو بالتالي لن يرحمهم.

٥ ــ ضبط النفس:

شَتَمَ الصغيرُ أخاه، غَضِبَ الأبُ، وقام لِيضرِبَ الصغير، فبكى الصغير معتذِرًا عما فَعَلَ؛ لكن الأب ظلَّ غاضبًا متجَهِّمًا طوال اليوم، ورَفَضَ أن يتحدث معه.

وفي الفصل أخطأ التلميذ فعاقبه المدرّس وظلَّ غاضبًا طوال الحِصَّةِ، لم يبتسمِ ابتسامَةً واحدة رغم اعتذار التلميذ عمَّا فعل، أوِ اعترافه بخطئه، هذا هو ما قصدناه بضبط النفس أن تغضب ولكن ليس من قلبك، وتُعاقِبَ بمزاجك، تُعاقِبُ وأنت تهدُف من وراء العقاب شيئًا، وهو التربية؛ أي تَغْيِير السلوك؛ ولكن لا تكتشف بعد العقاب أنَّك غضبت كثيرًا، وعاقبت بشدة أكثر مما يستحقُّ السلوكُ الخطأ الذي فَعَلَهُ الصغير، وأنك عاقبتَ أصلاً كردِّ فعلٍ سريعٍ للخطأ ولم تنوِ قبل العقاب أن تغير من سلوك الصغير، وبالتالي فقد عاقبتَ بالغضب والصِّيَاح بدلاً من التصحيح الهادئ أوَّلاً، أو ضربتَ وكان الأَوْلَى أن تُظْهِر الغضب فقط، ليس هذا فحسب؛ بل مِن ضبط النفس أيضًا أن تغضب فإذا ما اعترف الصغير بخَطَئِهِ فيتلاشى غضبكَ على وجه السرعة، ويتحوَّل إلى ابتسامة رقيقة، وكذلك تتحوَّل الابتسامةُ إلى تَجَهُّم عند الخطأ، وسرعان ما يزول التجهُّم، وهكذا دون أن يُؤَثِّرَ ذلك في القلب؛ لِيُرَبِّيَ الكبيرُ الصغير، وليس العكس، فيتحكَّم الصغير في حركاته وسكناته، ابتسامِهِ وتَجَهُّمِهِ، جِدِّهِ ولَعِبِهِ.

٦ ــ سَعَةُ الاطلاع:

يجب على المربِّي الاطلاعُ عامَّةً، وعلى الإصدارات في مجال الطفولة بشكل خاص؛ فالمسلم مثقَّف الفِكر، والمربّي أَوْلَى بذلك؛ ليستطيع تعليم الصغار، وتغذيتهم أولاً بأول بالمعلومات الجديدة والمفيدة في التفسير، وفي الحديث، وفي الفقه، وفي السيرة، وفي العقيدة، وفي أخبار المسلمين، وفي الآداب والأخلاق، وفي المعلومات الإسلامية والعامة.. إلخ.

الصغار يسألون في كل شيء، وفي أيّ شيء، فإن عجز المربي عن الإجابة، أو تَكرر تَهَرُّبُهُ منهم سقط من نظرهم، ولجؤوا لغيره؛ يسْتَقُونَ مِنْهُ معلوماتِهم، قد يكون التليفزيون، وقد يكون شخصًا سيئًا، وقد يكون مجلة داعرة، أو كتابًا فاسدًا، أو غيرَهُ.

٧ ــ الثقافة التخصصية:

فالمربّي لكي يُحسِنَ التعامل مع الصغار؛ لا بد أن يعرف خصائص كل مرحلة سِنِّية، وأن يقرأ عن أساليب التربية ومجالاتها، وكذلك يقرأ في وسائل جذب الأطفال، ويقرأ عن المشكلات النفسية والسلوكية، التي قد يُعاني منها بعض الأطفال، وقد حرصت في هذا الكتاب بجزأيه التيسير على المربي في هذا المجال بشكل عملي، لا ينقصه التنظير أيضًا، وإن كنا ننصح المربين بدوام الاطلاع على الإصدارات المطبوعة في هذا المجال، ومتابعة هذا الموضوع في الجرائد والمجلات، وببعض المواقع على شبكة الإنترنت لِمَنْ تَيَسَّر له ذلك، وإنَّ هذا الموضوعَ لَمِنَ الأهمّيَّة بمكان، بحيثُ إنَّ افتقادَه، أو ضَعْفَ المربّي فيه، يجلب المشاكل الَّتي هو في غِنًى عنها أثناء العملية التربوية، عندما يَجِدُ طِفلاً عنيدًا ويظن أنه يفعل معه ذلك لأنَّه يكرهه، والواقع أنَّ هذه سِمَةٌ للطفل، وطبيعة فيه في مرحلة معينة، وكذلك التعرُّف من خلال الثقافة التخصصية على أن هناك فروقًا بين الأطفال، فهذا يحب القيادة، وذلك اجتماعي، والآخر كسول، وهكذا فلا تكون التربية في كُتَلٍ ثابتة؛ بل تختلف مِن طفل لآخَرَ، لذا فنحن ننصح المربي بدوام القراءة في مجال تربية الأولاد؛ من أجل الثقافة التخصصية.

٨ ــ الحنان:

والمربي الذي ينقصه الحنان لا يصلح للتربية، الذي يغلب عليه التجهم، الذي يبخل بالابتسامة، الذي لا يمسح على رأس الطفل، الذي لا يعرف إلا العقاب، أما الثواب فلا حاجة به إليه، ليعلم كل هؤلاء أنه

" ليس منا من لم يرحم صغيرنا" ، و" من لا يَرحم لا يُرحم" ، وأنه بذلك مخالف لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مزاحه مع الصبيان، وتلطفه معهم.

٩ ــ التصابي:

المربي الناجح يتصابَى للصغير، فينزل إلى مستواهم، فيُلاعبهم، ويمازحهم، ويحادثهم، لا يتكبر عليهم، ولا يطرُدُهم من مجالسه، يمشي معهم ولا يأنف ذلك، تأخذ البنت الصغيرة بيد النبي - صلى الله عليه وسلم - فتنطلق به في طرقات المدينة، فلا يمنعها، ويأذن للأخرى أن تفي بنذرها فتضرب بالدف بين يديه، ويعقِدُ المسابقات بين الأطفال، ويمشي على يديه ورِجْلَيْهِ - صلى الله عليه وسلم - ويركب الحسن والحسين فوق ظهره فلا يمنعهم، يأكل معهم ويعلمهم آداب الطعام، ويُرْدِفهم خلفَهُ على الحمار؛ كما فعل مع عبدالله بن عباس، وغير ذلك مما نتعلمه منَ النبي - صلى

الله عليه وسلم - فلا يصح أبدًا أن نُبعِدَ أبناءنا عنا، ونتجنبهم كالجَرْبَى نقول لهم: (ابعد عني)، (هل ستُصَاحِبُنِي؟)، (أنسيت نفسك؟)، (لست في سِنِّي لتتحدث معي)؛ لكن لنُلاعِبْ أبناءنا، ونلعبْ معهم، ونذاكرْ لهم، ونجلسْ معهم، ونخاطِبْهُم على قَدْر عقولهم، وبما يفهمون هم لا بما نَفْهَمُ نَحْنُ، وإنَّ هذا لا يُنافِي الوقارَ والهَيْبَة والإجلال؛ بل يَزِيدُها - إن شاء الله - بما يلقاه من أبنائه وتلاميذه حينما يكبرون، ويجد أمامه ثمرةَ تَعَبِهِ، وكيف أنهم يكونون مع أبيهم وأمهم؛ كالأصحاب يُصارِحُونَهم بِمَشاكِلِهِمْ، وما يدور في نفوسهم وما يَشْغَلُهُم، فيسهل حلُّ مشكلاتهم، أمَّا الذي يهابُهُ أولاده، ويصبُّ عَلَيْهِم كل يوم وابلاً كثيفًا من الشتائم، ومختلِف أنواع العقوبات إلى جانب الفظاظة والغِلْظة، الَّتي يتحلَّى بِها، فَهَذَا يتمنَّى مِنْ أولاده حينما يكبرون أن يصارحوه ويحادثوه ويصاحبوه؛ ولكن هيهاتَ، فقد وضع الحاجز بينه وبينهم منذ زمن، ناهيك عن تمنِّيهِم لموته؛ ليستريحوا منه بعد طول عَناء؛ وربما يدعون عليه بعد موته فيحرم نفسه من خير كثير، وهو إحدى الباقيات الثلاث الصالحات للإنسان بعد موته ألا وهي ((ولد صالح يدعو له)).

١٠ – الاتصال بأولياء الأمور:

فالمعلِّم لابد أن يجلس مع وليِّ الأمر أو يتصل به تليفونيًّا؛ ليطمئن على ابنه، ويُنَسِّقَ معه طُرُقَ التربية، وليَعرفْ عن قُرب بيئة الصغير، ومَنِ المسيطر في البيت الأب أو الأم، وهل هناك مشاجرات بينهما أم لا؟ وهل الأب متفرغ للتربية أم لا؟ وهل الأم لا تجلس مع ابنها إلا على مائدة الطعام أم تجلس معه في غير ذلك لتطمئنَّ عليه وتتعرَّف أخبارَهُ؟ إنَّ كُلَّ ذلك سيؤثر بالطبع على الصغير بشكلٍ أوْ بِآخَرَ، فإنَّ المشاكل الأُسْرِيَّة مثلاً لها آثار جانبية تظهر في سلوك الطفل بالسلب غالبًا، فإذا ما عرف المربي هذا فلا يعاقب الطفل إلاَّ بقدر؛ لِمَا يعلم من أسباب لتلك المشكلة.

ومن فوائد الاتصال بالبيت التنسيق مع ولي الأمر، فإذا عاقب المعلِّم تلميذه فحَرَمَهُ من رحلة مثلاً فلا يصح للأب أو الأم أن تخرج ابنها في ذات الأسبوع في نزهة مماثلة، فلا يصبح لعقاب المعلِّم جدوى، وكذلك المعلم والذي يكون تربويًّا في الغالب، فإنه يُعْلِم ولي الأمر بوسائل التربية، وطرقها ليستفيد منها في تربية ابنه، فمن هنا نعلم أهمية اتِّصال أولياء الأمور والمربين معًا؛ لتنجح العملية التربوية وتتكامل.

١١ – وضوح الهدف:

المربّي الناجح يضع أمامه دومًا الهدف من التربية، والفوائد الدينية، والدنيوية العائدة عليه؛ بل عليه أن يضع له أهدافًا جزئية كل فترة زمنية، فيقول مثلاً: في خلال هذا العام سيحفظ أبنائي جُزأين من القرآن، ويتعلمون ثلاثة أخلاق إسلامية، ويتعلمون ثلاثة آداب يومية، ويتقنون مهارة الإنشاد أو الكتابة على الكمبيوتر، ويعرفون كل شيء عن الأزهر، والمُتْحَف الإسلاميّ مَثَلاً، ويعرفون أعداءهم اليهود، وما فعلوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعرفون أجدادهم

العَشَرَةَ المُبَشَّرِينَ بالجنة، وكذا يعرفون خطأين شائعينِ في المجتمع، وهكذا يضع المربّي أمامَهُ هَدَفًا عامًّا، وهو تَرْبِية الطفل تربيةً إسلاميَّةً صحيحةً، وتحته أهداف جزئية كما سبق.

١٢ – تحصيل الثمرة:

فالمربي الناجح ليس هو الذي يَظَلُّ أعوامًا طويلةً يجلس مع الأطفال، ويَبْذُلُ معهمُ المجهود في أشياء لا طائل منها، ولا يأخذ منهم ثمرة أولاً بأوَّلَ، فقد يعطيهم زادًا ثقافيًّا، وقد يُحَفِّظُهُم نصف القرآن؛ ولكن أخلاقَهُم سيئةٌ في أول مباراة يلعبونها مع بعضهم بعضًا، تظهر الأنانية والسَّبُّ واللَّعْن والتباغُضُ فيما بينهم، فالتربية كانتْ ثقافيَّةً لم تتعدَّ ذلك، أما الجانب التطبيقيُّ أو الجانب العمليُّ فقد تَنَحَّى جانبًا، وهو المهمُّ في العملية التربويَّة، فلْنطلُبِ الثمرةَ؛ ولكن لا نَسْتَعْجِلْها، فكلٌّ بقَدَرٍ، والزمن جزءٌ منَ العلاج.

السمات العامة للإنسان المستقيم كما يحددها الإسلام

اهتم القرآن الكريم بتربية الإنسان من جميع جوانبه ، حتى تستقيم حياته على منهج الله وصراطه المستقيم ، ووازن بين طاقاته الثلاث الروحية ، والعقلية ، والجسمية لكي تنمو هذه الطاقات في ظل تربية إسلامية سليمة .

أولاً : التربية الروحية :

التربية الروحية تعني : ترسيخ القوى الروحية لدى الناشئين وغرس الإيمان في نفوسهم ، إشباعاً لنزعتهم الفطرية للتدين وتهذيب غرائزهم ، والسمو بنزعاتهم وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية التي تستمد من الإيمان الصحيح بالله عز وجل .

وقد وردت كلمة " الروح " في القرآن الكريم لتدل على معنيين:

أحدهما : أنه سر من عند الله . قال تعالى : {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ}

ثانيها : أن الروح اسم لجبريل عليه السلام . قال تعالى : {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} .

أما حقيقة الروح وكنهها فهي من الأشياء التي اختص الله بها . قال تعالى : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}[سورة الإسراء : ٨٥].

واتخذت التربية الاسلامية عدة وسائل للتربية الروحية منها :

١- **تربية الروح بترسيخ الإيمان بالله** : فإن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره يربي الروح تربية تظهر آثارها واضحة في السلوك .

قال تعالى : {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}:

٢- **تربية الروح بالعبادات :**

والصلاة من أمثلة العبادات التي تربي الروح ، وتزكيها ، قال تعالى : { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ } .

ولقد فرضت الصلاة في وقت مبكر في صدر الإسلام لتحقيق هذه الصلة الروحية بالله والنقاء والصفاء الروحي بعدم الوقوع في الفاحشة والمنكر .

وهكذا سائر العبادات فهي تربي الروح ، كما أنها في الوقت ذاته تسهم في تربية الجسد والعقل كما هو شأن الصلاة .

٣- **تربية الروح بالنوافل والذكر الدائم لله :**

فالقرآن يدعو إلى تربية الروح بالذكر ، **قال تعالى** : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}

ويقول تعالى : {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} .

وكان صلى الله عليه وسلم يمثل نموذجاً عملياً وقدوة حية لصحابته في ذلك فيذكر الله ويستغفره في يومه أكثر من مائة مرة ويسن لهم الأذكار مرتبطة بحياتهم كلها في حال اليقظة والنوم وإدامة الذكر

ثانيا- التربية الجسدية :

والجسد " الجسم " مكون من مكونات الإنسان الرئيسية ولكنه ليس كافياً للإنسان فإن البسطة في الجسم دون العلم والروح وردت في القرآن الكريم في غير مجال الثناء .

قال تعالى في شأن المنافقين : {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ }.

وقد وردت كلمة الجسم والجسد في القرآن الكريم ، ولكن الإسلام اعتنى بالجسم والجسد رعاية كاملة متوازنة مع مكونات الإنسان الأخرى الروح والقلب والنفس .

ولقد اعتنى الإسلام بالجسم حتى يقوى على العمل والعبادة والدفاع عن النفس والجهاد في سبيل الله .. يقول عليه الصلاة والسلام : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير "

* ويربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على شكر النعمة المتمثلة في الصحة فيقول : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة ، الفراغ ".

ولقد اهتمت التربية النبوية بالجسم والحفاظ عليه فقد أولاها صلى الله عليه وسلم مقداراً كبيراً من توجيهه وما ذلك إلا لأن الجسم هو قاعدة تزكية النفس ووعائها وصفاء العقل ومرتكزه ، لأن هناك اتصالاً قوياً بين نفس الإنسان وعقله وجسمه وتفاعلاً مشتركاً بين أجزائه الثلاثة .

فالعقل السليم في الجسم السليم والصحة نعمة ، قال عليه الصلاة والسلام : " من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافي في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " .

وهناك خمس طرق استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه على حفظ الجسم وهي :

١ـ طريقة التغذية المتكاملة المتوازنة

قال تعالى : {كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }.

وقال تعالى : {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجتك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام".

وهكذا ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في حياته ، فإنه لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه حرم نفسه من تناول الطيبات من الأطعمة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تكرهه" .

ولقد نوع صلى الله عليه وسلم تناول الطعام فأكل اللحم وشرب اللبن وأكل الحل والحلواء ويأكل الشعير والسويق والتمر والبضخ والرطب وكل ذلك ثابت .

ومن القواعد الكلية التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه تعالى لوقاية الجسم وحفظ صحته ، قوله عليه الصلاة والسلام : " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا مجالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشراه، وثلث لنفسه " .

فالاعتدال مطلب شرعي في الأمور كلها ومنها التغذية الحلال .

٢- عن طريق نظافة الجسم :

قال تعالى : { إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} .

ومن الجوامع في الدلالة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " عشر من الفطرة : قص الشارب وإعضاد اللحية والسواك ، واستنشقاء الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء" . قال الراوي : نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ..

لذلك كانت التربية النبوية ترعى المسلم في صحته ونظافته ومنها دعوته إلى الغسل والطهارة والوضوء والسواك والدعوة المستمرة على النظافة .

٣- حفظ الجسم عن طريق الرياضة البدنية :

إهتم النبي صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه على هذا الجانب لما له من تأثير فعال في تكوين الجسم الصحيح .

فكان صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على المشي ويمارسها بنفسه في تنقله إلى الصلاة والهجرة والزيارة وكان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس في مشيته .

عن أبي هريرة قال : " ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته"

ومن الرياضة التي حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عليها السباق بأنواعها المختلفة ، ومن ذلك سباقه لعائشة رضي الله عنها وسباق الأعرابي بناقته العضباء .

كذلك حث الفروسية والرمي والسباحة كما ورد عن عمر رضي الله عنه في الحث عليها .

٤- المحافظة على صحة الجسم عن طريق الوقاية :

فالنبي صلى الله عليه وسلم لكمال شفقته على الأمة ونصحه لهم نهاهم عن الأسباب التي تعرضهم لوصول العيب والفساد إلى أجساهم وقلوبهم.

فقال عليه الصلاة والسلام : خمروا الآنية وأوكوا الأسقية وأجيفوا الأبواب .

وكره التنفس في الإناء ونهاهم عن الخروج من منطقة الوباء أو القدوم إليها .

٥- **المحافظة على الجسم عن طريق العلاج الطبي :**

قال تعالى : {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}. .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لكل داء دواء فإذا أحبب دواء الداء برأ بإذن الله " والأدلة على ذلك كثير .

ثالثاً - التربية العقلية :

يشكل العقل أحد مكونات الإنسان والعنصر الهام الذي تقلد به الإنسان الخلافة عن الله في الأرض .

والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التنظيم والتشبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه .. وتشمل الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها .

وقد نبه الإسلام على قيمة العقل وأهميته وكثيراً ما امتدح الله تبارك وتعالى العقول وأصحابها في القرآن **قال تعالى** : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ}

وقال تعالى : {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه أهمية العقل وقيمته ورباهم وفق منهج القرآن على استخدام عقولهم والتفكر في الخلق ونهاهم عن التفكر في الخالق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره .

وهناك ثلاث طرق استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم للتربية العقلية مع صحابته على النحو التالي :

١- طريق تحديد المنهج الصحيح للنظر العقلي :

٢- طريق تحديد المجالات التي أمر الله العقل بالتفكير فيها .

٣- طريق تحديد المجالات التي منع الله العقل من التفكر فيها وأمره بالتسليم الطلق بها .

وبعد ...

فإن التربية الإسلامية اعتنت عناية فائقة بالإنسان لا على أنه جسد فحسب كما تدعو بعض الفلسفات ولا على أنه روح فقط كما تمارس بعض الرهبنات ، إنما على أنه كيان ومزيج مركب

من جسد وروح وعقل وقلب ونفس ، ترعاها التربية الإسلامية في توازن دقيق ، وهكذا كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة .

وبذلك فإنه يمكن القول : إن العلاقة بين هذه الجوانب الثلاثة علاقة ارتباطٍ وتلازم إذ أنه لا يمكن أن يستغني جانبٌ منها عن غيره ؛ و لا يمكن أن تقوم الشخصية الإنسانية التي يريدها الإسلام بدون تكامل هذه الجوانب الرئيسة وانسجامها مع بعضها .

علم الاجتماع في الاسلام

تمهيد:

أن المجتمع الإسلامي مترابط في خطوطه وتفاصيله الدقيقة الواحدة، والمجتمع عبارة عن وحدة واحدة تتكون من أربع عناصر غير قابلة للتجزئة إن فقد عنصرا من هذه العناصر فقد المجتمع مفهومه كمجتمع وتحول إلى المفهوم الرأسمالي المغلوط للمجتمع.

فالمجتمع عبارة عن أناس ، وأفكار، ومشاعر، وأنظمة، هذه هي عناصر التكوين الأساسية التي تكون المجتمع.

فالناس هم النواة ، والأفكار والمشاعر هي الرابط الذي يربط الناس ، ولذلك لا بد من أنظمة تحدد هذه العلاقات والتي تقوم على أساس المصلحة بين الناس، وتميز المجتمع الإسلامي عن المجتمعات الأخرى بارتباط المصلحة بالمشاعر والأفكار والتي يكون أساسها العقيدة الإسلامية التي تبنى عليها، والمجتمع بدوره جزء من صيغة عامة للحياة، وهذه الصيغة لها أرضية خاصة بها، ويوجد المجتمع الإسلامي الكامل حين يكتسب الصيغة والأرضية معاً، حين يحصل على النبتة والتربة كليهما.

ويستقيم منهج البحث في الاجتماع الإسلامي، حين يدرس الاجتماع الإسلامي بما هو مخطط مترابط، وبوصفه جزءاً من الصيغة الإسلامية العامة للحياة، التي ترتكز بدورها على التربة والأرضية التي أعدها الإسلام للمجتمع الإسلامي الصحيح.

وتتكون التربة أو الأرضية للمجتمع الإسلامي، ومذهبه الاجتماعي من العناصر التالية:

أولا: الأفكار المستمدة من العقيدة الإسلامية الراقية بفكرها، وهي القاعدة المركزية في التفكير الإسلامي، التي تحدد نظرة المسلم الرئيسية إلى الكون بصورة عامة.

وثانياً: المفاهيم التي تعكس وجهة نظر الإسلام في تفسير الأشياء، على ضوء النظرة العامة التي تبلورها العقيدة.

وثالثاً: المشاعر التي يتبنى الإسلام بثها وتنميتها، إلى صف تلك المفاهيم، لأن المفهوم ـ بصفته فكرة إسلامية عن واقع معين ـ يفجر في نفس المسلم شعوراً خاصاً تجاه ذلك الواقع، ويحدد اتجاهه العاطفي نحوه. فالعواطف الإسلامية وليدة المفاهيم الإسلامية، والمفاهيم الإسلامية بدورها موضوعة في ضوء العقيدة الإسلامية الأساسية الربانية، والمفاهيم الإسلامية ثابتة لا تتغير والتغير فيها يخرجها عن نطاقها الإسلامي.

رابعا : الناس وهم المجموعة التي يربط بينهم العلاقات وليس بلد أو مساحة جغرافية أو نظام سياسي.

فهذه هي العناصر: الأفكار العقائدية، والمشاعر والعواطف، والمفاهيم، ومجموعة الناس، التي تشترك في تكوين التربة الصالحة للمجتمع.

* ثم يأتي ـ بعد التربة ـ دور الصيغة الإسلامية العامة للحياة، كلاً لا يتجزأ، يمتد إلى مختلف شُعب الحياة.

وعندما يستكمل المجتمع الإسلامي تربته وصيغته العامة، عندئذ فقط نستطيع أن نترقب من المجتمع الإسلامي، أن يقوم برسالته الفذة في الحياة وهي نهضة الأمة السليمة،وعندما تتحقق النهضة تحقق للمجتمع السعادة والرفاهة، وتؤتي أكلها بأن نقطف منه أعظم الثمار.

وأما أن ننظر من الرسالة الإسلامية الكبرى، أن تحقق كل أهدافها من جانب معين من جوانب الحياة، إذا طبقت في ذلك الجانب بصورة منفصلة عن سائر شُعب الحياة الأخرى... فهذا خطأ. لأن الارتباط القائم في التصميم الإسلامي للمجتمع، بين كل جانب منه وجوانبه الأخرى،

يجعل شأنه شأن الجسد الواحد فلذلك كان وصف المجتمع الإسلامي المتكامل ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

أسباب عدم عناية المسلمين في إيجاد منهج حقيقي لعلم اجتماع إسلامي

ويرجح السبب في عدم عناية المسلمين في إيجاد علم اجتماع في الفترات التي سميت فترات العصر الذهبي في التاريخ الإسلامي لأسباب منها:

١- الدعاية السياسية التي قام بها الأمويون والعباسيون في صرف الناس عن دراسة جذرية معمقة للفقه.

٢- اعتقال فقهاء المسلمين واضطهادهم وتعذيبهم –كما حدث للإمام أنس بن مالك في فترة حكم أبو جعفر المنصور- وإبعاد الناس عنهم عن طريق التشكيك فيهم والتجريح في عدالتهم.

٣- إيجاد منظومة من الأحاديث الموضوعة التي تظهر مشروعهم في الحكم وتدعم وجودهم في السلطة

٤- إيجاد نخبة من المفكرين والفقهاء ممن رضوا المسير في ظلال السلطان كابن خلدون مثلا لتثبيت دعائمهم في الحكم عبر البحث في معظم مناحي الفقه الإسلامي وتأويله لصالح النظام السياسي القائم.

٥- بعث مفهوم القدرية في أذهان الناس حتى يعتقدوا أن وجودهم في الحكم كان بقضاء الله وقدره، وهو أمر واقع لا يمكن دفعه أو النهوض بما يخالفه.

٦-إنشاء الفرق الدينية والفرق السياسية والجدلية والفلسفية التي صرفت الناس عنهم واشغلتهم في علم الكلام والمنطق.

٨- التوسع والانفتاح على الثقافات الأخرى كالفلسفات الإغريقية والرومانية والتوسع في نشرها لمحاولة إيجاد منظومة جدلية حديثة تبعد المسلمين عن التوسع في فقههم.

ضمن هذه الظروف التي عاشتها الأمة الإسلامية، كان من الصعب على المسلمين وهم يعيشون ضمن المُلك العضوض، أن تنشأ محاولة أو ما يمكن تسميته بحركة نهضوية جادة لدراسة المجتمع الإسلامي والتوصل بها إلى ما يسمى بعلم الاجتماع الإسلامي الحقيقي.

تعريف علم الاجتماع

يُعَرِّفُ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية علمَ الاجتماع بأنه: "دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الإنسانية، كما تبدو في الزمان والمكان؛ للتوصُّل إلى قوانين التطوُّر، التي تخضع لها هذه المجتمعات الإنسانية في تَقَدُّمِهَا وتَغَيُّرِهَا".

موضوع علم الاجتماع

١ - الظواهر الاجتماعية، التي تظهر نتيجة لتجمُّع الناس معًا، وتفاعل بعضهم مع بعض، ودخولهم في عَلاقات متبادلة، وتكوين ما يُطْلَق عليه الثقافة المشتركة؛ حيث يتَّفِقُ الناسُ على أساليب مُعَيَّنَة في التعبير عن أفكارهم، كما أنهم يتَّفقون على قيم محدَّدة، وأساليب معينة في الاقتصاد، والحكم، والأخلاق، وغيرها.

وتبدأ الظواهر الاجتماعية بالتفاعل بين شخصين أو أكثر، والدخول في علاقات اجتماعية، وحينما تدوم هذه العلاقات وتستمرُّ، تشكِّل جماعات اجتماعية، وتُعَدُّ الجماعات الاجتماعية من المواضيع الأساسية التي يدرسها علم الاجتماع.

٢ - العمليات الاجتماعية؛ كالصراع، والتعاون، والتنافس، والتوافق، والترتيب الطبقي، والحراك الاجتماعي. كما أن التغيُّر في الثقافة وفي البناء الاجتماعي، أحد ميادين الدراسة في علم الاجتماع، كما أن هناك النُّظُم الاجتماعية، وهي الأساليب المقنِّنة والمقرِّرة للسلوك الاجتماعي، وكذلك الشخصية، وهي العامل الذي يُشَكِّل الثقافة، ويتشكل من خلالها .

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

على الرغم من أن التفكير الاجتماعي قديم قِدَمَ الإنسان نفسه، إلاَّ أن الاجتماع الإنساني لم يصبح موضوعًا لعلمٍ إلا في فترة لاحقة، وكان أَوَّل مَنْ نَبَّه إلى وجود هذا العلم، واستقلال موضوعه عن غيره، ووضع أسسه، وابتكره، هو العلاَّمة المسلم ابن خلدون!

فقد صرَّح في عبارات واضحة أنه اكتشف علمًا مستقلاً، لم يتكلَّم فيه السابقون؛ إذ يقول: "وكأن هذا علم مستقلٌّ بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل؛ وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم، وضعيًّا كان أو عقليًّا" .

ويقول أيضًا: "واعلم أن الكلام في هذا الغرض مُسْتَحْدَث الصنعة، غريب النزعة، أَعْثَر عليه البحث، وأدَّى إليه الغوص... وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري! لم أقف على الكلام في منحاه

لأحدٍ من الخليقة، ما أدري: ألغفلتهم عن ذلك، وليس الظنُّ بهم؟ أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض، واستوفوه، ولم يصل إلينا؟" .

كما أنه لم يكتفِ بذلك، بل دعا القادرين إلى استكمال ما نقص منه، فقال: "ولعلَّ مَنْ يأتي بعدنا -ممن يُؤَيِّده الله بفكر صحيح، وعِلْمٍ مُبِينٍ- يغوص في مسائله على أكثر مما كتبنا، فليس على مستنبط الفنّ إحصاء مسائله، وإنما عليه تعيين موضع العلم، وتنويع فصوله، وما يُتَكَلَّم فيه، والمتأخِّرُون يُلْحِقُون المسائل من بعده شيئًا فشيئًا إلى أن يكمل" .

وإضافةً إلى ذلك فإن مقدمته شملت على أقلِّ تقدير سبعة من فروع علم الاجتماع المعاصر، ناقشها ابن خلدون في وضوح تامٍّ.

ولكن على الرغم من ذلك، وعلى الرغم من قول عالم الاجتماع النمساوي الشهير جمبلوفتش: "لقد أردنا أن ندلِّلَ على أنه قبل أوجست كونت، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوربي، جاء مسلم تقيٌّ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل مُتَّزِنٍ، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة، وإن ما كتبه هو ما نسمِّيه اليوم علم الاجتماع".

على الرغم من ذلك كله، فإن التأريخ لعلم الاجتماع يقف عند الفرنسي كونت باعتباره المنشئ الأول لهذا العلم، ويتجاهل بذلك المؤسِّس الحقيقي لهذا العلم، الذي نبَّه عن وعي وفي وضوحٍ إلى اكتشافه لهذا العلم .

وقد شهد المنصفون بأن أوجست كونت استمدَّ كثيرًا من آرائه ونظرياته من مقدمة ابن خلدون .

فابن خلدون يُمَثِّل نقطة تَحَوُّلٍ في كتابة التاريخ الإنساني، وفي تأسيسه لعلم الاجتماع، قد هزَّ الفكر الإنساني العالمي بذلك؛ إذ وضع خُطَّة جديدة وآراء جديدة، بل وضع قوانين جديدة يمكن تطبيقها، وتنسحب على كل المجتمعات البشرية :

* فالإنسان لا يعيش إلاَّ في مجتمع، وإذا عاش في مجتمع؛ فلا بُدَّ أن يعيش مع شعب، وإذا عاش مع شعب لا بُدَّ أن يعيش على أرض، ولكي تَظَلَّ العلاقة قائمة بين هؤلاء الناس، أو القبائل، أو الشعب، أو هذه المجموعة البشرية؛ لا بُدَّ من أن ينظِّمَها حاكم؛ وأنواع الحاكم تدرَّجَتْ من حاكم بسيط (شيخ قبيلة) إلى حاكم مُطْلَقٍ، استطاع أن يستخدم كل الوسائل التي هيَّأها له هذا التجمُّع البشري، أو هذا العمران، واستطاع أن يستغلَّ هذا ويصبح هو الحاكم المطلق، وإذا أصبح حاكمًا مطلقًا استطاع أن يؤسِّس دولة، فإذا أسَّس الدولة التي طبَّق عليها ابن خلدون نظريته؛ مرَّت الدولة بمراحل مختلفة، هذه المراحل وجدت صحَّة في التطبيق في واقع الحياة الاجتماعية . *

ابن خلدون حياته ونشأته :

١ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي، مولده بتونس في غرة رمضان (٧٣٢هـ)، ورحل إلى فاس، وغرناطة، وتلمسان، والأندلس، كما تَوَجَّهَ إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها الظاهر برقوق، ووَلِيَ فيها قضاء المالكية، وظلَّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ)، حيث تُوُفِّيَ ودُفِنَ في مقابرها عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا .

٢ - وقد نشأ ابن خلدون في بيت علم ومجد عريق، وحفظ القرآن في وقت مبكِّر من طفولته، وكان أبوه هو معلِّمه الأول، كما درس على يد مشاهير علماء عصره، وقد اتجه إلى الوظائف العامَّة بعد موت عامَّة أساتذته في الطاعون الذي أصاب بلادهم، والتحق بوظيفة كتابيَّة في بلاط بني مرين، ولكنها لم تكن لتُرْضي طموحه، وعَيَّنه السلطان (أبو عنان) - ملك المغرب الأقصى - عضوًا في مجلسه العلمي بفاس، فأُتِيحَ له أن يعاود الدرس على أعلامها من العلماء والأدباء، الذين نزحوا إليها من (تونس)، و(الأندلس)، و(بلاد المغرب).

٣ - ورحل ابن خلدون إلى غرناطة تاركًا أسرته بفاس، ثم عاد إلى وهران بالجزائر؛ ليستقرَّ في قلعة ابن سلامة هو وأهله أربع سنوات، ومن هنا بدأت مسيرته مع كتابه (العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)؛ لتكون مقدِّمَة هذا الكتاب أول وأشهر مقدِّمة صُنِّفَت في علم الاجتماع، وشئون الاجتماع الإنساني وقوانينه، وقد عالج فيها ما يُطْلَق عليه الآن (المظاهر الاجتماعية) - أو ما أَطْلَقَ عليه هو (واقعات العمران البشري)، أو (أحوال الاجتماع الإنساني) .

مقدمة ابن خلدون

بسط ابن خلدون في المقدمة كل ما لديه من علم ومعرفة، فجاءت شيئًا ثمينًا، بل متقدِّمة جدًّا على العصر الذي كُتِبَتْ فيه، وهي تحتوي على ستَّة فصول كما يلي:

الأول: في العمران البشري: وهي تقابل (علم الاجتماع العام)، وقد درس ابن خلدون ظواهر المجتمع البشري، والقواعد التي تسير عليها المجتمعات.

والثاني: في العمران البدوي، وقد درس الاجتماع البدوي، كاشفًا أهمَّ خصائصه المميِّزة، وأنه أصل الاجتماع الحضري وسابق عليه.

والثالث: في الدولة والخلافة والمُلْك: وهو يقابل (علم الاجتماع السياسي)، وقد درس قواعد الحكم، والنُّظُم الدينية، وغيرها.

والرابع: في العمران الحضري: وهو ما يقابل (علم الاجتماع الحضري)، وقد شرح جميع الظواهر المتَّصلة بالحضر، وأصول المدنية، وأن التحضُّر هو غاية التمدُّن.

والخامس: في الصنائع والمعاش والكسب: وهو ما يقابل (علم الاجتماع الاقتصادي)، وقد درس تأثير الظروف الاقتصادية على أحوال المجتمع.

والسادس: في العلوم واكتسابها: وهو ما يقابل (علم الاجتماع التربوي)، وقد درس الظواهر التربوية، وطرق التعلم وتصنيف العلوم.

كما درس ابن خلدون الاجتماع الديني والقانوني، رابطًا بين السياسة والأخلاق.

والحقيقة الظاهرة أن أحدًا قبل ابن خلدون لم يَعْرِض لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية أَدَّتْ إلى نتائج ومُقَرَّرَات مثل تلك التي أَدَّتْ إليها دراسة ابن خلدون، ذلك أن المفكِّر المسلم الفقيه درس الظواهر الاجتماعية من خلال الإخبار التاريخي السليم، مثلما يدرس العلماء علوم الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، وهو بذلك يكون أول مَنْ أخضع الظواهر الاجتماعية لمنهج دراسي علمي، انتهى به إلى كثير من الحقائق الثابتة التي تشبه القوانين، وعليه فإن ما توصَّل إليه ابن خلدون من نظريات يظلُّ عملاً رائدًا في ميدان الدراسات الاجتماعية في مسيرة الفكر الإنساني .

من اهتمامات علم الإجتماع : المجتمع

* **و لفظ مجتمع في اللغة** : اسم مشتق من جَمَعَ، فالجمع ضم الأشياء المتفقة، وضده التفريق والإفراد. والمجتمع يعني موضع الاجتماع. أو الجماعة من الناس.

* **تعريف المجتمع في علم الاجتماع :**

ظهر حديثاً لفظ المجتمع كمصطلح يدل على الانتماء إلى فكر معين، أو إقليم معين، أو جنس معين، ولم يكن هذا المصطلح معروفاً من قبل للدلالة على ما سبق، لذا لم نجد في قواميس اللغة قديماً هذا اللفظ، كما لم نر في مصادر التراث تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا المصطلح.

وقد اختلف علماء الاجتماع في العصر الحديث في تحديد مفهوم المجتمع بالمعنى العام والخاص، والنماذج التي يصح إطلاق اسم المجتمع عليها، إلا أنهم وضعوا تعريفات عديدة نذكر منها:

١ - **المجتمع :** هو ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه، في هيئة وحدات، أو جماعات.

٢ - **وعرفه آخرون بأنه** : مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، محددة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد، والقاييس والقيم، والأحكام الاجتماعية، والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر

٣ - **وعرفه آخرون بأنه** : جميع العلاقات بين الأفراد في حالة تفاعل مع منظمات وجمعيات لها أحكام وأسس معينة.

مفهوم المجتمع المسلم

إذا أمعنا النظر في التعريفات التي ذكرها علماء الاجتماع للمجتمع ، لم نجد أياً منها صالحاً للدلالة على المجتمع المسلم، لأن المجتمع المسلم لم يظهر بسبب حوادث معينة، أو ظروف تاريخية، كالمجتمعات الغربية والشرقية اليوم، الذي يكون الفرد فيها مجرد آلة في مجتمع آلي، خال من الإيمان والقيم فضائل الربانية التي تبرز قيمة الإنسان كإنسان، بل أصبحت المادة هي المنطق الأساسي في هذه المجتمعات والمحور الذي تقوم عليه الحياة.

ولقد وضع بعض الباحثين المسلمين تعريفات للمجتمع المسلم ينسجم مع مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية، ونذكر من هذه التعريفات ما يلي:

* المجتمع المسلم : هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعددة، وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحدة.

* **وعرفه آخرون بأنه**: خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات إسلامية وأحكام، ويرعى شئونهم ولاة أمر منهم وحكام.٢٤

من التعريفات أعلاها للمجتمع المسلم يتضح لنا أنه مجتمع رباني، حددت أهدافه ورسمت ملامحه من قبل، واستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وليس للعادات أو التقاليد، أواللغة أو التاريخ، أو العنصر دخل في تكوين هذا المجتمع، بل إنه يقبل كل من آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً .

أ سس بناء المجتمع وعناية الإسلام به

لا بد لكل مجتمع من أسس يبنى عليها، وتكاد تكون هذه الأسس مشتركة بين المجتمعات كلها، والمجتمع الإسلامي مثل غيره من المجتمعات لديه أسس عامة قام عليها ونشأ .

١ --الإنسان

عنى الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها، بغية أن يهيئه ليكون اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وبرزت هذه العناية الإلهية منذ الخلق والتكوين، حين خلقه الله تعالى ونفخ فيه من روحه ومنحه العقل والحواس، فبان بهذا أنه مخلوق كريم على الله، ثم تبعته العناية الإلهية حين قضى الله تعالى يكون خليفة في الأرض، وقد توجت هذه العناية بشريعة الإسلام وبما تضمنته من هداية وتوجيهات تخص الفرد المسلم، كادت تستغرق العهد المكي كله ولم يغفلها العهد المدني، وهدفت كلها إلى بناء شخصية للفرد المسلم متزنة مستقلة تجمع بين ما استودع فيها من رغبات ونزعات، وبين ما أنيط بها من مسؤوليا ت على مستوى الفرد والجماعة، وهذا ما جعل الإنسان مخلوقاً متميزاً وحرياً بأن يصبح خليفة في الأرض وأهلاً للقيام بواجباته تجاه نفسه وتجاه مجتمعه.

٢ -- الروابط الاجتماعية

وحيثما وجد مجتمع إنساني برزت - بلا شك - روابط اجتماعية وصلات وهي عبارة عن فكر وسلوك ، وتعمل في ظل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

* ويرى البعض أن هذه الروابط قد تكون علاقات اجتماعية، مثل الصداقة والمصاهرة.

* وقد تكون عمليات اجتماعية أشد تعقيداً، مثل الجوار والصراع.

* ومنهم من يقسم هذه الروابط إلى فطرية، كالقرابة، وإلى مكتسبة كالجوار.

٣ - الضوابط الإجتماعية

إن حاجة المجتمع ماسة لوجود ضوابط وأنظمة تطلق نشاط الأفراد في مجالات، وتحبس نشاطهم في مجالات أخرى، وتضع لهم مقاييس للسلوكيات والأحاسيس تقوم الأمور تبعاً لها، فتعتبر بعض الأمور كريمة محببة وتعتبر بعضها كريها مذموماً .

وللإسلام منهج في هذا المجال لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل منهجاً يوازنه أو يدانيه، وسلك فيه مسالك متنوعة، فآتت ثمارها. وكان من ذلك :

أ - زين لأفراد المجتمع طريقا سهلاً موصلاً للجنة ولرضوان الله تعالى عن طريق محبة الآخرين، قال الرسول : "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحبوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم".

فجعل انتشار المحبة بين الأفراد علامة على تحقق الإيمان ورتب على ذلك دخول الجنة وهذا من أعظم الحوافز التي توضع بين يدي المسلم اليقظ، ولا شك أن المحبة في الله إذا فشت بين أفراد المجتمع كان لها من الآثار والثمار ما هو كفيل بتجاوز كثير من الأزمات ونمو التسامح في المعاملات.

ب - كذلك رغب الإسلام أبناءه في العناية بقضايا المجتمع وحاجات أفراده، ورتب على ذلك مكاسب عظيمة بينها النبي بقوله: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله عزوجل في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم اليامة" .

و ثمرة هذا كله أن تقوى أواصر المحبة والتسامح والنصح والإيثار وحسن العشرة وكف الأذى بين أفراد المجتمع، وهو ما يسند نظم المجتمع ويبرز معالم الانضباط فيه.

ج - أوجد تشريعات يحتكم إليها أفراد المجتمع عن رضى وطيب نفس لكونها ربانية المصدر، فقد نظم الإسلام العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم، وأوجد نظماً تخص الأسرة الصغيرة والكبيرة، ونظم أمور المعاملات، ليقف كل فرد على ماله وما عليه، وهو منهج يتسم بالواقعية، ويستخدم في ضبط الأمور في المجتمع.

د - أوجد بعض الروادع تمثلت في تشريعات تتعلق بالعقوبات على أنواعها، تقوم اعوجاج بعض الأفراد وتردهم إلى الصواب حماية لهم من شرور أنفسهم وصيانة لأمن المجتمع.

.

٤ - الأرض

تعد الأرض واحدة من الأسس التي ينبني عليها المجتمع، وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل الإسلام بأحكامه وتشريعاته ليحكم في الأرض، ويطبق على أرض الواقع ويمتثله الناس في شؤون حياتهم ، ثم وجود سلطة تملك سلطة اتخاذ القرا وتنفيذه، ويتعذر وجود هذه العوامل أو يكاد إذا لم توجد بقعة من الأرض تجمع المسلمين وتكون الكلمة فيها لهم.

الخلاصة

١ - عنى الإسلام بالإنسان الفرد عناية لا مثيل لها، بغية أن يهيئه ليكون اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وبرزت هذه العناية الإلهية منذ الخلق والتكوين، وقد توجت هذه العناية بشريعة الإسلام وبما تضمنته من هداية وتوجيهات تخص الفرد المسلم.

٢ - فطر الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع، فهو يميل إلى بني جنسه ويكره العزلة، وقد أدى ذلك إلى نشوء روابط اجتماعية وصلات بين الأفراد في المجتمع الواحد، وقد جعل الإسلام الرابطة العظمى والعروة الوثقى بين أفراد المجتمع الإسلامي العقيدة الإسلامية، لأنها المرجعية الأولى والعليا لأبناء المجتمع الإسلامي في كل ما يصدر عنهم.

٣ - لا بد من وجود ضوابط وأنظمة تطلق نشاط الأفراد في مجالات، وتحبس نشاطهم في مجالات أخرى، وتضع لهم مقاييس للسلوكيات والأحاسيس.

٤ - استخدم الإسلام منهجاً مميزاً في زرع التألف بين قلوب أفراد المجتمع و بث المحبة بينهم وزرع روح التسامح، حيث جعل انتشار المحبة بين الأفراد علامة على تحقق الإيمان ورتب على ذلك دخول الجنة وهذا من أعظم الحوافز التي توضع بين يدي المسلم، كذلك رغب الإسلام أبناءه في العناية بقضايا المجتمع وحاجات أفراده.

٥ - تعد الأرض واحدة من الأسس التي ينبني عليها المجتمع، وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل الإسلام بأحكامه وتشريعاته ليحكم في الأرض، ويطبق على أرض الواقع.

سمات المجتمع الإسلامي

يمكن القول أن المجتمع الإسلامي يتميز بعدة سمات وعلى رأسها أنه مجتمع ملتزم بالشرع، وجاد، ومتسامح، وآمن، وفيما يلي شرح مفصل لهذه السمات الأربع.

الأولى : انه مجتمع ملتزم بالشرع

من أهم سمات المجتمع الإسلامي أنه مجتمع ملتزم بالشرع، ونعني بهذه السمة، أن لهذا المجتمع مرجعيته العليا وهي الكتاب والسنة يصدر عنها المجتمع في كل تصرفاته، فهي التي تدير شؤون أفراده وتحكم تصرفاتهم، وهذا من مقتضيات الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون النور:٥١.

إن الالتزام والقيام بما تأمر به شريعة المجتمع، هو الجانب العملي في العقيدة، وهو دليل قوّة الاستمساك بالعقيدة، إذ العمل جزء من العقيدة مرتبط بها، يعلو بعلوها وينحطّ بانحطاطه١، وهذا يجعلنا نشدّد على أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على أساس العقيدة التي تربط بين قلوب أفراد

هذا المجتمع، تقوم على الاقتناع الحر الذي لا إكراه فيه ولا عنت، قال تعالى: { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَي }

الثانية - مجتمع جاد

ويمكن أن نعدّ الحرص على العلم النافع ، والسعي إلى العمل الصالح، أبرز مظهرين يتضح من خلالهما جديّة هذا المجتمع.

العلم : قيمة عليا من قيم المجتمع المسلم، لا تفارقه ولا تنفك عنه والعلم النافع هو كل علم يقرب من الله سبحانه وتعالى، ويزيد الخشية منه، ويدفع إلى العمل الصالح، ويدخل في هذا العلم الشرعي، والعلوم الأخرى التي تدفع الإنسان إلى التفكير في المخلوقات وإدارك قدرة الله تعالى وبديع صنعه، فالمجتمع الإسلامي يرحب بهذا العلم ويهيئ المناخ المناسب له، لأنه الوسيلة الفاعلة لتحقيق مقاصد ثلاثة يحرص المجتمع عليها وهي توجيه التفكير، وإصلاح العمل ، وإيجاد الوازع النفسي.

إن المجتمع الإسلامي يرفض كل علم لا يكون وسيلة لتحقيق إحدى الغايات السامية للمجتمع، ويصنفه على أنه علم لا ينفع، وقد أرشدنا النبيّ إلى هذا الفهم حين استعاذ من هذا العلم، فكان يقول: "اللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعْ" .

العلم الصالح : هو العلم الذي يتبعه العمل الصالح إذ أنهما متلازمان، ولا يتصور انفصالهما، إذ لا يكون العمل صالحاً ما لم يبن على علم نافع، ولهذا قدّم الله تعالى الأمر بالعلم على الأمر بالعمل في قوله تعالى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات } .

و العمل الصالح: مرتبط بمفهوم العبادة ، فدائرة العمل الصالح واسعة جداً تشمل الحياة وما فيها ولا تختص بالشعائر التعبدية، كما تشمل كيان الإنسان كله ظاهره وباطنه، وهذا ما وضحه الإمام ابن تيمية رحمه الله عند ما عرف العبادة بقوله: "هي اسم جامع لكل ما يح الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة" فكل عمل يؤدي إلى مرضاة الله ويجلب النفع إلى البشرية، فهو عمل صالح يرحب به في المجتمع الإسلامي، ويفتح له الأبواب ويشجع عليه أصحابه.

الثالثة - مجتمع متسامح

مع معتنقيه وغير معتنقيه على حد سواء.

أصل السماحة سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، فالتشدد في كل شيئ ممقوت، ولا يأتي غالباً بخير، أما الرفق واللين فتحقق آثاراً طيبة، ونتائج مثمرة.

إن السماحة صفة بارزة في المجتمع الإسلامي، لأنها ظاهرة في ثنايا الإسلام كله، فالأحكام الشرعية مبنية عليها، فهذا قول الله تعالى ينطق بها { فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ } والله سبحانه وتعالى يصف رسوله بالسماحة ويحثّه للمداومة عليها، وذلك في قول تعالى: { فبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِك } .

ويرجع معنى السماحة إلى التيسير المعتدل، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا".

فالسماحة بمفهومها الواسع، صفة مصاحبة لتصرفات المجتمع الإسلامي، فهم بعيدون عن الانفعالات، معرضون عن التجاوزات، وهذا ما تقتضيه الأخوة في الدين.

ولا يعني هذا أن المسامحة محصورة بين المسلمين فيما بينهم، فقد أمر الله بها مع المخالفين في الدين، فأمر بالإحسان إلى الوالدين الكافرين، وأذن ببر المخالفين ما لم يكونوا محاربين، وأباح الزواج من نساء اليهود والنصارى، وأجاز المعاملات الدنيوية معهم، وهذه هي السماحة بعينها.

وسيرة النبيّ حافلة بالأحداث التي تؤكد سماحته مع كل من تعامل معهم.

الرابعة - مجتمع آمن

يتصف المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع آمن، والأمن هو تحقق السكينة والطمأنينة والاستقرار على مستوى الفرد والجماعة. والإسلام يعتبره نعمةً وفضلاً، لأنه عامل من أهم عوامل الراحة والسعادة لبني الإنسان في الحياة، وهو مطلب رئيس للمجتمعات جميعها.

ولما كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً مؤمناً ملتزماً، كان بالضرورة آمناً، ونحسب أننا لا نبالغ عندما نقول إن البشرية قلما شهدت مجتمعاً ساده الأمن والأمان كالمجتمع الإسلامي على مرّ العصور

الطريق الأول: سلامة منهج الفرد، واستقامة سلوكه، فإن الأصل في الإنسان المسلم أنه لا يحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي يرتدع عن الجرائم، لأنّ رقابة الإيمان أقوى، والوازع الإيماني في قلب المؤمن حارس يقظ، لا يفارق العبد المؤمن ولا يتخلّى عنه، فالإيمان هو الذي يحقق الأمن للمجتمع ويقيه من الأخطار، فإذا تخلى أبناء المجتمع المسلم عن دينهم أحدقت بهم المخاوف من كل جانب وانتشرت بينهم الجرائم.

الطريق الثاني: المجتمع، فما المجتمع الإسلامي في أصل تكوينه إلا عدد كبير من الأسر التي نشأت على هدي من الله تعالى، فقامت بدورها المنوط بها في رعاية أفرادها وتوجيههم، ليكونوا عناصر خير وحراس أمن في المجتمع.

فالمجتمع الإسلامي بهذه المواصفات المتميزة يرعى أبناءه، ويحاصر فيهم نزعة التفرد والتمرد، ويعزّ في نفوسهم احترام القيم الجماعية، وهذا يسهم إلى حدٍ بعيد في توفير الأمن لهذا المجتمع.

الطريق الثالث: العقوبات، وهي موانع لفئة من الناس عن المساس بأمن المجتمع، فإن الإسلام لا يركن في هذا المقام إلى الوازع الفردي والرقابة الجماعية فحسب، فإن بعض النفوس تميل إلى حبّ السيطرة والعدوان، والقويّ ميّال إلى النيل من الضعيف، فقد لا تكفي والحالة هذه صيحات التهذيب والإصلاح، ولا آيات الوعد والوعيد في الآخرة تصون المجتمعات، فلابد من رادع ماديّ وعقاب عاجل، كي تنزجر هذه الفئة، ويعيش المجتمع آمناً .

ولقد أثبت التاريخ أن المجتمع الإسلامي عندما طبق الحدود، عاش آمناً مطمئناً على أمواله وأعراضه ونظامه ، وإن الّذين يعترضون على هذه الحدود بحجة الإشفاق على الأفراد، هم في حقيقة الأمر يعتدون على حقوق مجتمع بأكمله، فجرمهم بهذا المسلك، أشدّ وأقبح من جرم من ارتكب جريمته.

إن العقوبات التي شرعها الله تعالى بشروط وضوابط هي غاية في الاحتياط تعدّ رحمة من الله تعالى، لأنها تحفظ على المجتمع أمنه، وتجعله متميزاً بمثله وقيمه بين المجتمعات الأخرى بهذه السمات .

الخلاصة

١ - المجتمع الإسلامي مجتمع ملتزم بالشرع، والمقصود بهذا، أن لهذا المجتمع مرجعيته العليا وهي الكتاب والسنة يصدر عنها المجتمع في كل تصرفاته، فهي التي تدير شؤون أفراده وتحكم تصرفاتهم.

٢ - المجتمع الإسلامي مجتمع جادّ لا مكان فيه لصغائر الأمور وسفاسفها، ويمكن أن نعدّ الحرص على العلم النافع والسعي إلى العمل الصالح، أبرز مظهرين يتضح من خلالهما جديّة هذا المجتمع.

٣ - يتحلى المجتمع الإسلامي بقيم التسامح والعدالة، فيما بينهم ومع غيرهم ممن لم يعتدوا عليهم، جاعلين نصب أعينهم قول الله تعالى: وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ المائدة:٨.

٤ - يتصف المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع آمن، والأمن هو تحقق السكينة والطمأنينة والاستقرار على مستوى الفرد والجماعة. والإسلام يعتبره نعمةً وفضلاً، لأنه عامل من أهم عوامل الراحة والسعادة لبني الإنسان في الحياة، وهو مطلب رئيس للمجتمعات جميعها.

العلاقات الاجتماعية

يحتل موضوع العلاقات الاجتماعية مكانة هامة في علم الاجتماع العام ، بل أن معظم المؤلفين والعلماء يرون أن العلاقات الاجتماعية هي اساس علم الاجتماع .

وقد عرفت العلاقات الاجتماعية بأنها " الروابط والآثار المتبادلة بين الافراد والمجتمع وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع " .

وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد في مجتمع ما نتيجة تفاعلهم مع بعضهم البعض من أهم ضرورات الحياة . ولا يمكن تصور أية هيئة أو مؤسسة أن تسير في طريقها بنجاح ما لم تسعى جاهدة في تنظيم علاقاتها الاجتماعية .

ومن الملاحظ أن العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد تكون :

١ ــ علاقات اجتماعية وقتية :

وهذه العلاقات لها وقت معين بحيث تبدأ وتنتهي مع الحدث الذي يحقق هذه العلاقة ومن أمثلة هذه العلاقة التحية العابرة في الطريق أو العلاقة بين البائع والمشتري .

٢ ــ علاقة اجتماعية طويلة الأجل :

وهي نموذج التفاعل المتبادل الذي يستمر فترة معينة من الزمن ويؤدي إلى ظهور مجموعة توقعات اجتماعية ثابتة ، وتعتبر علاقة الدور المتبادل بين الزوجة والزوج أمثلة لمثل هذه العلاقات .

٣ ــ علاقة اجتماعية محدودة :

نموذج للتفاعل الاجتماعي بين شخصين أو أكثر ويمثل هذا النموذج البسيط وحدة من وحدات التحليل السوسيولوجي ، كما أنه ينطوي على الاتصال الهادف والمعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر.

ومن خلال تعريف العلماء للعلاقات ، تبين أن العلاقات الاجتماعية مختلفة في شكلها فقد تكون العلاقات الاجتماعية مؤقتة ، أو طويلة الأجل، وقد تكون محدودة ، وبما أن العلاقات الاجتماعية مختلفة في شكلها كما ذكرنا ، فإن العلاقات الاجتماعية لها أنواع مختلفة أيضاً .

ومن أهم أنواع العلاقات الاجتماعية ما يلي :

١ ــ العلاقات الاجتماعية الجوارية وهي :

" إقامة السكان بعضهم قرب بعضه ، وهؤلاء السكان غالباً ما يتعاشرون ويتزاورون ويتعاونون فيما بينهم" .

ويشترك الجيران بعضهم مع بعض في أفراحهم وأحزانهم ، لذلك اعتبرت علاقة الجار بجاره واجباً مقدساً لاسيما عند الشعوب العربية الإسلامية ، من خلال قيام الجار برعاية جاره في حالة غيابه ،وفي الوقت الحالي أصبحت علاقات الجوار قليلة جداً فقد لا يشاهد الجار جاره فترة طويلة بسبب الانشغال الدائم وكثر الالتزامات الاجتماعية سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل .

٢ــ العلاقات الاجتماعية الأسرية :

* يقصد بها تلك العلاقات التي تقوم بين أدوار الزوج ، والزوجة ، والأبناء .

* ويقصد بها أيضاً طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة الذين يقيمون في منزل واحد .

إن العلاقات الاجتماعية الأسرية تحتوي على ثلاث مجموعات :

أ ــ العلاقات الاجتماعية بين الزوج والزوجة :

الأب هو الذي يرأس الأسرة ويصدر القرارات الخاصة بالمنزل ويعمل جاهداً في توفير الحاجات الأساسية للحياة الأسرية ، كما أن علاقة الزوجة بزوجها علاقة الطاعة والخضوع ،ويشتمل عمل المرأة على تربية أطفالهم ورعايتهم .

ب ــ العلاقات بين الآباء والأبناء :

أن الإنسان ما زال محباً للأولاد ، فهو يفخر ويتباهى دائماً بكثرة الإنجاب وخاصة إذا كانوا ذكور . وإذا لم يرزق الشخص بولد ورزق ببنات فإنه يظل راغباً في إنجاب الذكور لأنه يعتبر الذكر مصدر اعتزاز . ويفترض في العلاقات بين أعضاء الأسرة أن تقوم على التعاون والمودة.

ج ــ العلاقات الاجتماعية بين الأبناء أنفسهم :

أطفال الأسرة هم مواطنون يعيشون في عالم الصغار وفيه يتلقون مجموعة مختلفة من الخبرات خلال معيشتهم المشتركة . وتتميز العلاقات بين الأخوة بالإشباع والشمول كما تتسم

بالصراحة والوضوح ومما تجدر الإشارة إليه أن مكانة الأبناء تختلف حسب تسلسلهم داخل الأسرة .

ومجمل القول أن الحياة الاجتماعية تنشأ عندما يتفاعل الأفراد فيما بينهم مكونين جماعات بشرية ينتج عنها مجموعة من العلاقات الاجتماعية والتفاعلات التي تعتبر المحور الأساسي في حياة البشر .

مفهوم العلاقات الاجتماعية

أما المراد بالعلاقات: فهي الصلات التي تربط كل فرد من أفراد الأسرة، وكل أسرة بأسرة، وكل بلد ببلد، وفي آخر الدائرة تربط المسلم بالمسلم في أي مكان من الأرض، هذه هي العلاقة.

والمجتمع معناه: مجموعة تلك الأسر التي تنتظم من أولئك الأفراد الذين رباهم الإسلام، فكوّنوا الأسرة المسلمة، وتكون من مجموع هذه الأسر المجتمع الإسلامي.

كيف نبني العلاقات؟

إن اللبنة الأم في بناء العلاقات هي الحب الصادق الذي هو في الحقيقة قاعدة صلبة تقوم عليها أروقة العلاقات، ومن أجل ذلك حث الإسلام على مد الجسور الموصلة إلى تلك القاعدة العظيمة، ليسود الوئام والوفاق، ويتم التعايش السليم الذي يليق بالإنسان في هذه الحياة، ومن هذه الجسور ما يلي:

١ ـ التعارف:

وهو أول مرحلة من مراحل بناء الحب؛ حيث يجدر بالحريص على بناء العلاقات أن يتعرف على من حوله، وأن يمد معهم جسوراً من العلاقة الجيدة التي تقود بإذن الله ـ تعالى ـ إلى احتواء أحبابه، واصطفائهم متعبداً بذلك الله ـ تعالى ـ، مستجيباً لندائه الكريم:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } .

٢ ـ الهدية:

وهي السحر الحلال الذي يفتح الباب المصمت، ويسل سخيمة القلب، ويذهب وَحَر الصدر، ويزرع الحُب الجمّ، وما أجمل قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» .

ومما يزيد من أهمية الهدية أن أولي النُّهى يدركون الأثر العظيم الذي تحدثه الهدية، كما بيّن القرآن الكريم في قصة ملكة سبأ، كما قال - تعالى - على لسانها: { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} إن هذا الأثر العظيم للهدية لا يزال في حيز التنظير في واقع كثير من الدعاة، ولما يخرج بعد إلى حيز الممارسة، والتطبيق بشكل مثمر؛ فليحرص الدعاة على هذا المنهل العذب، والمورد الزلال الذي يتسلل إلى القلوب، فيعمرها بالحب بإذن الله.

٣ ـ الحقوق الشرعية المتبادلة:

وهي منظومة من الحقوق الواجبة للمسلم على المسلم، أو المندوبة بينهم، سردها - صلى الله عليه وسلم - في رواية أبي هريرة - رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلّمْ عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْهُ، وإذا مات فاتبعه». إن هذه الحقوق العظيمة، والآداب الرائعة التي تبدأ بالسلام من أول لقاء في هذه الحياة، وتنتهي بالوداع الذي لا لقاء بعده إلا في الآخرة لهي في الحقيقة جسور عظيمة، تزرع المحبة في القلوب، وتبني أروع العلاقات الأخوية المستمرة بإذن الله.

٤ ـ الخدمة وقضاء الحوائج:

فطرت النفس البشرية على محبة من يحسن إليها ويقوم بشؤونها ومصالحها، ومن ثم فهي تنظر إليه نظر الإجلال والتعظيم والحب، وهذه النظرة الفطرية هي في الحقيقة ناتجة من ضعف الإنسان، وحاجته المستمرة التي لا تنتهي في هذه الحياة إلا بوفاته؛ ولذلك فليس غريباً أن يهتم الناس بمصالحهم الدنيوية، وتأمين الحياة الكريمة التي لا تصلح حياتهم إلا بها، ولا شك أن الإسلام يراعي هذه النظرة الفطرية ويهتم بها، ويوجه الإنسان إلى الاهتمام بهذا الجانب المهم من خلال المنهج القويم الذي سلكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ حيث كان يدعو ربه بصلاح دنياه، كما في دعائه الثابت في صحيح مسلم: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي».

ومن تأمل سيرته - صلى الله عليه وسلم - رأى فيها سمة المبادرة إلى الاهتمام بشؤون الناس، وتلمّس حاجاتهم، كما قالت خديجة - رضي الله عنها ـ في وصفه - صلى الله عليه وسلم -: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

السنن الإلهية في المجتمع الإنساني

خلق الله تعالى الكون والحياة، وسيرها وفق سنن ثابتة تحكم سيرهما في كلا الجانبين، جانب الحياة الطبيعية، وجانب الحياة الإنسانية.

فأما الجانب الأول : فتحكمه سنن الله الكونية التي يقصد بها منهج الله في تسيير الكون وعمارته وحكمه.

و أما الجانب الثاني : فتحكمه سنن الله في الحياة الإنسانية، ويقصد بها: عادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله.

وقد جاء القرآن الكريم مقررا هذه الحقيقة، ومبينا لها ، وهي سير الحياة الكونية ، والحياة الإنسانية وفق سنن إلهية ثابتة، لا مجال فيها للعبث والاضطراب.

١ - اهتم القرآنَ الكريم ببيان هذه السنن اهتماما ظاهرا في كثير من سوره، إما بالتصريح بذكرها، وشارحا عواملها ونتائجها، وضاربا الأمثلة من حياة الأمم السابقة التي تكشف عن مدى تمسكها بهذه السنن أو انحرافها عنها، وما آل إليه أمرها من العواقب الحسنة، أو السيئة نتيجة لذلك.

فالمتصفح لسور القرآن الكريم يرى حديثه المستفيض عن سنن الله في الهدى والإضلال، والنصر، والهزيمة، والرخاء، والشدة، والابتلاء، والتمحيص، والعقاب، والتغيير إلى غير ذلك من السنن التي تحكم الحياة الإنسانية طبقا لمشيئة الله تعالى .

٢ - أن القرآن يدعو الناس في كثير من آياته إلى السير في ألأرض والنظر فيها، لكي يعرفوا سنن الله في الحياة، وما جرى منها على الأمم السابقة حتى ينتفعوا بمعرفتها في حياتهم سعياً إلى الكمال في الدنيا، والفوز في الآخرة إذا ساروا وفق سنة الله تعالى في خليقته. و حتى يلفت عقول الناس إلى النظام السنني البديع الذي ينظم حركة كل شيء فيه، لكي يعملوا على كشف هذه السنن ويسخروها في عمارة الأرض، وقد هتف الكتاب المجيد في الآية الكريمة: "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً" .

٣ - وقد كان رسول الله eقدوة ومثالا يحتذى في فهمه وتطبيقه لسنن الله الكونية والإنسانية، وكان يرشد أصحابه إلى سنن الله في المؤمنين السابقين، ليحذوا حذوهم ويقتفوا آثارهم، ويحذرهم من تنكب سنن الله، والسير على سنن المكذبين أو الظالمين، ويبين لهم علل، وأمراض الأمم السابقة التي استوجبت حلول سنن العقاب فيها، ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم، وصلاحهم إذا ساروا وفق سنة الله سبحانه وتعالى.

٤ - وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم- طبقا للتوجيهات القرآنية والإرشادات النبوية- على معرفة واسعة بسنن الله تعالى في الحياة الإنسانية ، والانتفاع بها في حياتهم وفتوحاتهم.

٥ - وقد كانت معرفتهم بسنن الله والتزامهم بها من أول أسباب نجاحهم في حياتهم الفردية والاجتماعية، وما أكرمهم الله به من الرخاء المادي، والسعادة النفسية، والترابط الاجتماعي،

والانتصارات العسكرية ونشر دين الله تعالى في الأرض، وإلا فلو أنهم تنكبوا سنن الله تعالى في الحياة، وخالفوها، لما تحقق لهم كل ذلك التقدم والسعادة والرخاء في ذلك الزمن القصير، حتى صاروا مثالاً نادرا يحتذى، وظاهرة فريدة كانت ولا تزال موضع الإعجاب والإكبار من كل من تناولها بالدراسة والبحث.

٦ - وعلى الرغم من اختلاف الصيغ والسياقات التي وردت فيها مادة " سنة " في القرآن الكريم فالمدلول العام يندرج في إطار الاعتبار والتبصر، والنظر، والتدبر، والتذكر، بسنن الأمم السابقين وكذلك سيرة الأنبياء والمرسلين، وهذا هو النحو الذي سارت عليه كتب التفسير في استخراج درر معاني سنن الله في الخلق والكون•

٧ - ويقينا إذا علم المسلم أن النتائج رهينة بالمقدمات والأسباب بالمسببات، سيعلم أن هذا الكون منضبط تحت نظام قائم على سنن ثابتة ومطردة، تسير وفق تدبير إلهي ومشيئة ربانية، تضمن السعادة والطمأنينة لمن استفاد استفادة عادلة وواعية من حكم الله وسننه في خلقه، وتعطي الحيرة والاضطراب والفشل لمن غابت عنه الحكم الإلهية وسار في تضاد مع سننه {ولا يظلم ربك أحدا} .

وقال تعالى في سياق العدل الإلهي: {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} .

معنى السنة في اللغة والإصطلاح :

السنة في اللغة : تعني السيرة، حسنة كانت أو قبيحة.

ويختلف مفهوم السنة في الاصطلاح تبعا للعلم الذي يستعمل هفيه :

فهو عند علماء الحديث، : ما أثر عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير،

وهي عند الفقهاء : ما طلب الشارع من المكلف فعله طلبا غير جازم.

أما عند علماء الأصول: المصدر الثاني للتشريع ممثلة في الأحاديث المنطوية على أحكام شرعية.

وقد اختارالمسلمين لفظ السنة للدلالة على هذه الاصطلاحات اقتباسا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله عليه الصلاة والسلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي..) أي طريقتي وهديي.

وقوله: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي).

أما في القرآن الكريم، فإن المستقرئ للفظة السنة في القرآن الكريم، نجدها لا تنطبق على أي من المدلولات السابقة، لكن لها مدلول آخر قوي، لا يمكن فهمه إلا في سياق القوانين الإلهية التي تحكم نظام العالم.

تعريف السنن الاجتماعية هي.. الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس ويعبر عنها قوم بالقوانين .

وعرف سيد قطب السنن بقوله: السنن هي قانون الله العادل في الخلق المؤثر في حياة الناس، لا يحابي أحدا.

وبالتدقيق في لفظة " سنن" و" سنة " الواردة في القرآن الكريم ،نجد أنها إما :

١- مجردة عن الإضافة ، كما في قوله تعالى: { قد خلت من قبلكم سنن} ، وهذا ما يحيل على كل السنن الكونية والاجتماعية والتاريخية التي جعلها الله في الكون على مر الزمان والعصور، ودعا القرآن الكريم إلى البحث عنها واكتشافها والاعتبار بها.

٢- وإما مضافة إلى اسم الجلالة أو الضمير الذي يعود عليه، كما في قوله تعالى: { ولن تجد لسنتنا تحويلا} ، وهو ما يحيل على مصطلح السنن الإلهية، باعتبار أن الله سبحانه هو واضع هذه السنن بإرادته وحكمته.

٣- وترد مضافة إلى السابقين من الأمم والمرسلين، وهذا ما يحيل على السنن الاجتماعية والتاريخية، باعتبار أن ترتب الجزاء على الفعل الاجتماعي البشري ترتب مطرد وثابت في الزمان.

ومن هنائذ أمكن الحديث عن السنن الإلهية أو الاجتماعية أو التاريخية ويكون المدلول واحدا لا يكاد يختلف في هذه العبارات كلها، ويمكن تسميتها قوانين أو نواميس ويكون المعنى واحدا لا يتعدد.

مفهوم السنن الاجتماعية هي:

" القوانين المطردة والثابتة التي تشكل إلى حد كبير ميكانيكية الحركة الاجتماعية وتعين على فهمها" .

وهي حكم الله الذي قضى ويقضي به في عباده، سواء كان حكما تشريعيا أو حكما قضائيا (من قضاء الله في العباد)، وهذا الحكم المقضي به في الناس يمكن فهم أسبابه وتوقع نزوله، فقد جرت عادة الله بإنزال أمره في عباده بناء على أعمالهم الاختيارية ، التي استمرؤوها ولم يتحولوا عنها ، ثواباً لمن وافقوا منهج الله ، أو عقاباً لمن كفروا وشاقوا الله ودعاته ، أو ابتلاء للمؤمنين ، أو استدراجا وإملاء للطغاة ، وكذا ما وضع الله لعباده من شرائع .

والقران الكريم يسمي هذه القوانين بالسنن ويدعو إلى كشفها ودراستها، وفي هذا الصدد نقرأ الآيات الكريمة التالية:

(وقد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)

(فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

(وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها، وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) .

ويعتبر هذا المفهوم فتحاً عظيماً في العلوم الاجتماعية فالقرآن هو أول كتاب عرفه الإنسان أكد على مفهوم (السنن الاجتماعية) وكشف عنه وأصر عليه وقاوم بكل ما لديه من وسائل الإقناع والتفهيم النظرة العفوية والغيبية الإستسلامية في تفسير ظواهر المجتمع والتاريخ.

أهمية السنن الاجتماعية في القرآن الكريم

إن النظر في ملكوت السماوات والأرض يهدينا إلى معرفة السنن الكونية (سنن التسخير) والنظر في تاريخ الأمم وأحوال المجتمعات - رقيا وانحطاطا- يهدينا إلى معرفة السنن الاجتماعية، وكلاهما - تبعا للمنهج القرآني- ذو أهمية في الحياة العملية للإنسان.

فبمعرفة هذه السنن يكون الإنسان على بصيرة من أمره فيما يقدم عليه أو يذر، ويتعظ بالعظات التي تحفظها صفحات التاريخ، فما من شك أن خاصية العقل في الإنسان إذا لم يغلبها عامل الهوى، تدفعه إلى التعلم من أخطاء الآخرين، والاستفادة من تجارب الماضين، والعمل على تراكم الانجازات في المجال الاجتماعي والسلوك البشري وتقليل الإخفاقات. وذلك بغرض تجنب سقوط محتم إذا ما تم الذهول عن السنن الاجتماعية في الكون.

لقد كشف القرآن عن وجود السنن الاجتماعية وعرض العديد منها، لأنه يؤمن بأن على الإنسان أن يعرف هذه القوانين من أجل أن يكون فاعلاً ومؤثراً وممسكاً بزمام الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية.

ولأهمية هذه السنن في حياة الإنسان –باعتباره سيد الكون والخليفة فيه- نجد القرآن يشد أنظار المخاطبين وعقولهم إلى النظر والاعتبار والتبصر في ملكوت السماوات و الأرض ، والاعتبار بأحوال المجتمعات الغابرة والكشف عن أسرار هذا الكون العجيب وقوانينه التي يسير وفقها، وطرق هذه القوانين في الأنفس والآفاق.

وتصل عناية القرآن بهذه القضية إلى حد النكير على أولئك الذين لن يستعملوا وسائلهم المعرفية الخلقية في معرفة هذه السنن والاستفادة منها في الحياة العملية إصلاحا لأي خلل وضمانا لصواب المستقبل.

إن النظر في ملكوت السماوات و الأرض يهدينا إلى معرفة السنن الكونية (سنن التسخير) والنظر في تاريخ الأمم وأحوال المجتمعات –رقيا وانحطاطا- يهدينا إلى معرفة السنن الاجتماعية، وكلاهما –تبعا للمنهج القرآني- ذو أهمية في الحياة العملية للإنسان.

فالظواهر الطبيعية : أمور تحدث تلقائيا وفق سنن التسخير الربانية ودون أن يكون للإنسان شأن فيها.

أما الظواهر الاجتماعية : فهي تلك التي تنجم عن تجمع الناس وتفاعلهم مع بعضهم، ودخولهم في شبكة من العلاقات المتبادلة وتصرفاتهم متداخلة.

خصائص السنن الاجتماعية من خلال القرآن الكريم

من خلال الآيات التي تتحدث عن سنن الله في خلقه، نستطيع تجميع خصائص هذه السنن ومميزاتها التي تنضبط إليها ولا تخرج عنها:

١- ربانية المصدر

لا شك أن السنن والقوانين الموجودة في الكون، سواء كانت طبيعية أو تاريخية واجتماعية هي من أصل إلهي، فكما أن البشر لا يستطيعون أن يكونوا قانونا طبيعيا فكذلك لا يمكن تصور وجود قانون سنني بشري من وضع البشر، كل ما يمكن للإنسان فعله في الحالتين معا، إنما هو اكتشاف هذه القوانين وتسخيرها من أجل الانتفاع بمزاياه وتجنب مضادتها وتحديها.

وفي الآيات المؤصلة لوجود السنن، نجد النص على نسبة السنن إلى الله تعالى واضحا، كما في قوله تعالى: { سنة الله التي قد خلت من قبل\" وقوله عز وجل: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} .

إن ربانية الوضع السنني يقتضي أن الله قادر على صرفها وتعطيله، لكنه سبحانه لا يفعل عادة وغالبا، وإنما يجري سننه كما سطرها ووضعها ودعا إلى اكتشافها. ولو كان تعطيل السنن من قبل الله سبحانه هو الغالب لما أمر الناس أن يسيروا في الأرض من أجل اكتشافها وتسخيرها.

٢- الدقة والتنظيم:

ولما كان الله تعالى هو واضع السنن الاجتماعية، وأن ما خلق الله تعالى يمتاز بالدقة والتنظيم والتناسق، من الذرة إلى المجرة، فإن القوانين الاجتماعية لا تخرج عن هذه القاعدة، ولا يمكن أن يترك الله أهم كائن خلقه في هذا الكون عاريا عن التنظيم والضبط القدري والشرعي، ولذلك شرع له الشرائع ليسير عليها ويضبط وفقها حياته الاجتماعية، كما أرصد له قوانين وسننا تضمن السير السليم للبشرية على المستوى البعيد، فتثبت الخير والصلاح، وتنفي الشر والدخن.

٣- ثبات السنن الاجتماعية في الزمان والمكان والناس.

إن السنن الاجتماعية هي حكم الله الذي لا يتخلف ولا يتبدل، قال الله تعالى: { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} وقال تعالى: { سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا}

ومما يدل على ثبات السنن الاجتماعية، وأنها تعمل في المجتمعات الإنسانية كافة، كون القرآن الكريم أمر بالسير في الأرض والنظر في تواريخ الأمم السابقة وآثارها، ولا معنى لهذا الأمر الإلهي إلا إذا كانت السنن الإلهية عامة، وأن ما لحق بكل منها لحق بالآخرين، وأنه لا بد أن يلحق بنا، وبمن بعدنا، وبكل من يتلبس بنفس الأسباب التي بها لحق الأولين.

ومع أن الواقع البشري ليس منضبطا كانضباط الكون المادي، وذلك لأن الإنسان غير منضبط السلوك فهو دائم التقلبات، تتجاذبه مسؤوليته في هذه الحياة بموجب نصوص القرآن الكريم، وانجذابه نحو مجموعة من الغرائز والمثيرات، فإن هذا لا يؤثر على سنن الله الثابتة اليقينية التي جعلت لكل سبب نتيجة ولكل حالة منتهى. ومن هنا يمكن أن نقرر أن المجتمعات متغيرة، بينما السنن ثابتة.

كما أن وجود الخوارق والمعجزات والعادات، لا يقلل من شأن ثبوت السنن الاجتماعية في شيئ، فإن الشرع قد ضبط كل هذه الظواهر، وجعلها لا تخرج عن نطاق محدد، هو في المعجزات تأييد للنبوات، وفي الكرامات حالات خاصة لذوي الصفاء الروحي والإيماني، قد لا تخرج نفسها عن سنن النصر والتمكين، لكنها لم تكن متوقعة بحسب المعطيات المادية البحتة.

٤ - حتمية الوقوع:

وهو أيضا معنى قولنا لا تتخلف، وأنها شاملة لا تستثني أحدا ولا تحابي أحدا، فسنن الله مثلا في النصر والتمكين، والقيام والسقوط، تشمل كل من أخذ بها، لا تحابي أمة دون غيرها. إلا أنه يشترط لتحققها وجود الأسباب وحضور الشروط وانتفاع الموانع، فلا يمكن توقع النصر لمن لم يأخذ بأسبابه، ولا قضى على موانعه، ولا يمكن انتفاء السقوط الحضاري عن أمة توفرت أسباب سقوطها ولم يعد لها من مقومات البقاء والمنعة شيء.

والحقيقة أن السنن قد لا تظهر حتميتها على المدى القريب أو المتوسط، وقد يستوجب الأمر في الغالب عقودا أو قرونا حتى تستعيد الحياة دورتها، وتقيم السنن ما اعوج وانحرف من

في السير البشري، ولذلك فإن السنن قد تقبل التحدي على الأمد القريب، لكنها لا تقبله أبدا على الأمد البعيد.

٥ - الإنسانية،:

بمعنى أن هذه السنن لا تؤثر بمعزل عن إرادة الإنسان، بل إن هذه الإرادة هي المحور في فاعلية الكثير من السنن الاجتماعية، ويشير القران في كثير من المواضع الى هذه الصفة، كما في قوله:

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . حيث ربط سنة التغيير الاجتماعي بإرادة الإنسان واختياره.

مظاهر السنن الإلهية

ومظاهر السنن الإلهية متجلية في الوحي الإلهي منذ نزول أول سورة في القرآن الكريم إلى آخر نزول منه .

هذا الوحي الذي يهدي للتي هي أقوم في كل شؤون حياة الناس، وأن الله لم يخلق الناس عبثا، وأن من يعمل سوءا يجز به، وإن التقدم والنماء والشهود الحضاري له شروط وضوابط تتأتى عن طريق العمل والإخلاص وليس عن طريق الأماني والتطلعات البعيدة ، مصداقا لقوله تعالى: {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد من دون الله وليا ولا نصيرا} .

. ومن هذه السنن الاجتماعية التي كشف عنها القرآن ما يلي:

١. سنة أجال الأمم حيث يقول القران:

(لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

(وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم، ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) ..

٢. سنة العقاب الدنيوي يشمل جميع افر المجتمع الظالم).

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب}

٣. سنة تغيير المحتوى الداخلي أساس في تغيير البناء العلوي للمجتمع :

{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } ..

٤. سنة المترفون معارضون لحركة التغيير.

{ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا: نحن اكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين} .

٥. سنة تسلط المترفين من عوامل انهيار المجتمع .

{ وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليه القول فدمرناها تدميرا} .

٦. سنة اثر الاستقامة على وفرة الإنتاج .

{ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون }

٧. سنة التدافع في الحياة الإنسانية .

{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين} .

{ ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا}

وسنة التدافع الحضاري هي من السنن الغائبة عن أذهان كثير من الناس بحيث لا يفقهون أن غاية التنازع بين الناس هي سنة صراع بين الحق والباطل .

٨ - سنة تراكم الخبائث يؤدي الى انهيار المجتمع

{ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض، فيركمه جميعا، فيجعله في جهنم، أولئك هم الخاسرون} .

٩. سنة المفاصلة الاجتماعية على أساس العقيدة .

{ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم، إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا، حتى تؤمنوا بالله وحده} .

١٠ - سنة التداول الحضاري:

{إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين }

وسنة التداول الحضاري هي السنة الأساس لباقي السنن الإلهية في خلقه•

١١ - سنة نصر المؤمنين:

إن الاستمساك بالإيمان القوي واق من الهزيمة ومما تورثه من الوهن والحزن، وداع إلى الاستعلاء وعدم السقوط والمعاودة للشهود الحضاري بعد الانكسار وهذا ما تؤكده آيات كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى:

{إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } .

{فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون}

{لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم } .

{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} .

لا يكفي الإنسان أن يأخذ بأسباب النصر دون ربط ذلك بالإيمان القوي والتقوى لأن في الربط بين الإيمان وأسباب النصر هو الطريق المأمول إلى النصر المحقق•

والمقصود هنا بالنصر مفهومه الواسع الذي يتجلى في الأخذ بأسباب الحياة المقرونة بالإيمان الحق، لقوله تعالى:{ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض}

١٢ - سنة هلاك المفسدين:

إن عواقب أهل الكفر والفساد وخيمة في المجتمع الإنساني مصداقا لقوله تعالى:

{ألم تر إلا الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار} .

ثم إن غياب العدل وتفشي الظلم ينتج عنه الخراب وانقراض الحضارات، قال تعالى: {وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا} .

فالإعراض عن الشريعة الإسلامية والإيمان الحق إيذان بظهور الفساد وزوال العمران ومن ثمة فالتزام الإيمان والتقوى هو ضمان استمرار واستقرار المجتمع الإنساني وهذا ماثل في آيات كثيرة من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا} .

وقال تعالى: {وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون• ذكرى وما كنا ظالمين}

وقال تعالى: {ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرار وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين} >

وختاما نقول:

إن فقه السنن الإلهية من خلال نصوص الوحي يجعل الإنسان المسلم على بينة من أمره وتبصر بعواقب الأمور، وهذا يمكن الإنسان من تسخير ما في الكون في شؤون حياته في ظل فقه لواقعه واحتياجاته التي تجعل ارتباط المقدمات بالنتائج ارتباطا ناجحا وموفقا على أن أمر المسلم كله خير، سواء في جانب الخير أو في جانب الشر•

ثم إن الإدراك العميق بأن كل شيء في هذا الوجود خاضع لسنة لا تتبدل ولا تتحول، وتوظيف هذا الإدراك إلى واقع العمل حينئذ سيكون الإنسان قادرا على تسخير آليات الحياة وفق منهج موفق مضيء بفقه الوحي الرباني، مسترشد بفهم آياته وغاياته، معتبر بقصص الأنبياء والمرسلين والأمم الغابرة، سيفضي في النهاية إلى حشد العزائم والطاقات والفعاليات في اتجاه صحيح يضمن النماء والاستقرار له ولمجتمعه وسيساهم في تأسيس ثقافة تنموية شاملة•